نظرية السؤال
تبصير في الاستنهاض الحضاري

الدكتور: طارق أحمد علي مريش*

10.35781/1637-000-0100-002

*دكتوراه في الفكر الإسلامي

وباحث في قضايا التجديد والنهضة.

الملخــص:

هذا البحث الموسوم بـــــــــ" نظرية السؤال تبصير في الاستنهاض الحضاري، للباحث الدكتور ، طارق أحمد علي مريش، يهدف إلى بيان حقيقة السؤال في الماهية والأهمية. وتوضيح موقع السؤال وحدود العقل، إظهار منزلة السؤال في دائرة التفاعل والاشتغال، كشف اتساع السؤال وانفتاحه على المجالات الواقعية والاستشرافات المستقبلية. وقد توسلت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، ويتكون المعمار العلمي لهذه الدراسة من مفتتح وأربعة فصول هي: الفصل الأول: السؤال (الماهية والأهمية)، والفصل الثاني: السؤال (العقل والحدود)، والفصل الثالث: السؤال (التفاعل والاشتغال)، والفصل الرابع: السؤال (المجال والاستشراف).

وكانت أبرز نتائجه: أن السؤال محرك أصيل وأساسي للعلوم والمعارف، لا غنىً عنه في صناعة الحياة والأحياء، وأن للعقل حدوداً حدها الشرع والطبع، لا مدخل له في الغيب المطلق، لا بتكليف ولا فُضول، وأن السؤال منه ما هو مفروض وما هو مرفوض، وأن مقصد العلم العمل لا العلم لذاته، وأن الوقت حقيق باستثماره في العلم والنهوض الحضاري المرتكز على الدين والقيم والعلم والعمل، وأن أهم سؤالات العصر معرفة الحاضر واستشراف المستقبل.

الكلمات المفتاحية: نظرية، السؤال، تبصير ، الاستنهاض، الحضاري.

ISSN : 2410-1818

Abstract

aims to clarify the truth of the question in its essence and importance, clarify the location of the question and the limits of the mind, show the status of the question in the circle of interaction and work, reveal the breadth of the question and its openness to realistic fields. And future prospects. The study used the descriptive, analytical, deductive approach. The scientific architecture of this study consists of an introduction and four chapters: the first chapter: the question (essence and importance). The second chapter: the question (reason and limits) The third chapter: the question (interaction and function). The fouth chapter: Question (scope and outlook).

Its most prominent results were: that questioning is an original and fundamental driver of science and knowledge, indispensable in the making of life and biology, and that the mind has limits defined by law and nature, and has no entry into the absolute unseen, neither by obligation nor curiosity, and that questioning includes what is imposed and what is rejected, and that the purpose of science is work, not science for itself, and that time is real by investing it in science and civilizational advancement based on religion, values, science, and work, and that the most important questions of the era are knowing the present and anticipating the future.

Keywords: Theory, Question, Insight, Mobilization, Civilization.

مفتتح:

الحمد لله رب العالمين، علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، معلّم الأمة الكتاب والحكمة، ومزكّ العقول والنفوس، ومطيب الأرواح والمسوح، سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.. وبعد:

لقد جاء الإسلام ليعلي من شأن الإنسان فكرمه على باقي المخلوقات بكرائم الهيئة السليمة، والفطرة المستقيمة، وقانون الإرادة والاختيار، ومسلك التسخير والتسيير في حركة الحياة، فكان بحقٍ المخلوق المكرم المعظم المنظم، المتساوق بإرادته الحرة الخيِّرة مع حركة الكون المسيَّر تساوقَ اتساقٍ لا شقاق فيه ولا انشقاق، طالما كان حاديه رشد الاستخلاف والتعبد والقصد في المشي، والاعتبار بحوادث التاريخ وعوائد الزمان، اعتباراً يسهم في البقاء والنماء لعامل الخير وموازين النفع والصلاح، كما جعل سبحانه من تمام تكريمه للإنسان قيامه على نفسه، إذ إن وظائف الاستخلاف والتعبد والعمران هي المناط بهذا الإنسان المكرم، وأي حيدٍ عن هذه الثلاثية يجعل حياته أشبه بحياة الأنعام والأسقام، ولأن نوازع الهوى والشرور تحتوش النفوس لما فيها من تركيب ثنائي رحماني وشهواني؛

ISSN : 2410-1818

كانت الرسالة الإلهية والسيرة النبوية والسنن القدرية وموازين الصراط المستقيم في العبادة والاستعانة:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[1] هي الهادية له في الاستقامة والسلوك الطيب.

ولقد جعل الله قانون الاستطاعة واليسر وقيم الرفق والوسطية والرحمة والاعتدال والقصد والاقتصاد قرين التكاليف الشرعية، تَحفظ للامتثال والتعبد الاستمرارية وسواء السبيل{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[2]، {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[3]، ويقول النبي ﷺ:((مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ))[4]، وجعل سنة التفضيل، وقيم التسخير والتسيير والتدبير والقسط، قرين الاستخلاف الإنساني الرشيد، تحفظ للوجود الإنساني البقاء والتكامل السديد، يقول سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[5]، ويقول سبحانه: { وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا }[6]، ((فضلناهم بهذا الاستخلاف في ملك الأرض الطويل العريض، وبما ركب في فطرتهم من استعدادات تجعل المخلوق الإنساني فذاً بين الخلائق في ملك اللّه، ومن التكريم أن يكون الإنسان قيّماً على نفسه، محتملاً تبعة اتجاهه وعمله، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنساناً، حرية الاتجاه وفردية التبعة، وبها استخلف في دار العمل))[7].

ومن معين هذا التكريم والاستخلاف امتلك وسائل الفهم والإدراك والتفاعل مع الكون والحياة والمجتمع، وكانت آلة العقل التي بها الإدراك والتحليل والاستنتاج والإنتاج هي مناط التكليف، وأحد الكليات التي جاءت الملل للحفاظ عليها، بقاء من التعطيل، ونماء بالعلم والمعارف والتفعيل.

ولقد كان من أهم وسائل تحصيل العلوم والمعارف ونمائها السؤال، إذ هو مفتاح العلم، فالعلم كما يقال سؤال يحتاج إلى جواب وتحرٍ للصواب، وفي الحديث عن جابر قال: ((خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ

---

[1] – (سورة الفاتحة: 5).

[2] – (سورة البقرة: 286).

[3] – (سورة البقرة: 185).

[4] – ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2 – 1993م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج2 ص311 رقم 551، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال المحقق: إسناده صحيح. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة – القاهرة، ج6 ص206 رقم25750، من حديث عائشة رضي الله عنها، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] – (سورة الحديد: 25).

[6] – (سورة الإسراء: 70).

[7] – سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق – القاهرة، ج4 ص 2241.

ISSN : 2410-1818

رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ. فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِي ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، قَالَ: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِي السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ))[1] والعِيُّ: الجهل، ولا يشفي جهل الجاهل إلا العلم، والعلم بالشيء يسبقه حسن السؤال الموصل للمعرفة والفهم.

مشكلة الدراسة

لقد مثّلت مشكلة الدراسة في إطار السؤال معضلة ذهنية من حيث المكانة والأهمية، ومعضلة إجرائية من حيث الأداة والوسيلة في مساق طرق تحصيل المعارف، ومسار تطورها ونمائها، بسبب إشكالية الفهم لحقيقة السؤال ومساحته في ضوء النصوص الدينية الواردة فيه أمرًا ونهيًا، ومن هنا تأتي التساؤلات:

1- ما ماهية السؤال وما أداته؟
2- ما مساحة السؤال وحدوده في العقل البشري؟
3- أيُّ السؤال يكون مشروعاً ومسهماً في الفكر وفقه حركة الكون والإنسان والمجتمع؟
4- أيُّ السؤال يكون ممنوعاً ومعاكساً لمحدودية العقل ومساحته الممكنة في التفكير السليم والمتاحة في النظر السديد؟
5- كيف نظمت الرسالة الإسلامية تطلعات الفطرة للفضول المعرفي عن كل ما خفي عنها؟
6- ما حدود المفروض والمرفوض من السؤال؟
7- ما مقاربة الوصل والفصل بين العلم والعمل والغيب والاستشراف من موقع السؤال؟

هذه التساؤلات المنقدحة في أذهان الكثير، أ شعلت همة الباحث بهدف الإجابة عنها، قيامًا بالفرض الكفائي المنوط به، لكشف الستار عمَّا أشكل فهمه لدى الكثير من أبناء الأمة حول هذه التساؤلات، فكان هدف الدراسة:

[1] – البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند، حيدر أباد، ط1– 1344هـ، ج1 ص227 رقم 1115. سنن أبي داود، ج1 ص132 رقم336، من حديث جابر رضي الله عنه. مسند احمد بن حنبل، ج1 ص330 رقم 3057، بنحوه من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال المحقق: حسن.

ISSN : 2410-1818

أهداف الدراسة

1- بيان حقيقة السؤال في الماهية والأهمية..
2- توضيح موقع السؤال وحدود العقل.
3- إظهار منزلة السؤال في دائرة التفاعل والاشتغال.
4- كشف اتساع السؤال وانفتاحه على المجالات الواقعية والاستشرافات المستقبلية.

منهج الدراسة

وقد سارت الدراسة في مسعاها التأصيلي، ومبناها التفصيلي، على المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، إذ تكفل المنهج الوصفي بتحديد مسارات السؤال في الوحي القرآني والنبوي ولغة العرب، وتكفل المنهج التحليلي بتفكيك المفاهيم، وتركيب الدلالات، الواردة في الوحي وحياة الصحابة وعطاء العلماء والعارفين، وجاء المنهج الاستنباطي ليستنتج المعاني والإشارات الهادية والهادفة إلى خيرية الإنسان ورشاده عبر آلية السؤال المحرك التأسيسي للمعارف والعلوم.

مكونات الدراسة

وتتشكل الدراسة في بعدها الفكري من أربع مكونات:

المكـــــون الأول: تنظير للســـــؤال في مستواه التأصيـــــلي.
المكون الثـانـي: تنظير للســـــؤال في مستـــــــــواه العقـــــلي.
المكون الثالث: تنظير للسؤل في مستـــــواه التفعيـــــــلي.
المكون الرابــع: تنظير للسؤال في مستواه الاستشــرافي.

هيكل الدراسة

كما يتكون المعمار العلمي والهندسة التربوية لهذه الدراسة من مفتتح اشتمل على استهلال ومشكلة وأهمية وأهداف ومنهج وهيكل ودراسات سابقة.

وأربعة فصول هي: الفصـــــل الأول: السؤال (الماهية والأهمية) وفيه مبحثان:

المبحـث الأول: الســـؤال (الماهيـــة والأداة) وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ماهيـة الســـؤال. المطلب الثاني: أداة السؤال.

المبحث الثاني: السؤال (الأهمية والأثر) وفيه مطلبان:

ISSN : 2410-1818

المطلب الأول: السؤال في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: السؤال وأثره في جيل الصحابة. الفصل الثاني: العقل والحدود وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقل (الموقع وحدود التشغيل) وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العقل وعلوم الغيب. المطلب الثاني: العقل وضوابط الفطرة في الرسالة الإسلامية.

المبحث الثاني: سؤال العلم ومضمار التفعيل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السؤال المفروض. المطلب الثاني: السؤال المرفوض

الفصل الثالث: السؤال (التفاعل والاشتغال) وفيه مبحثان: المبحث الأول: السؤال وقصد التفاعل وفيه مطلبان: المطلب الأول: سؤال الفكر والحركة. المطلب الثاني: فقه السؤال

المبحث الثاني: السؤال في ميدان الاشتغال وفيه مطلبان: المطلب الأول: حرص السلف على كسب الوقت وملئه بالخير. المطلب الثاني: أهمية الوقت عند العلماء في الابتكار (نماذج مُشَرِّفَة)

الفصل الرابع: السؤال (المجال والاستشراف) وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجالات قيام الحضارة الإسلامية، وفيه مطلبان: المطلب الأول: الدين والقيم. المطلب الثاني: العلم والعمل.

المبحث الثاني: سؤال علم الاستشراف وفيه مطلبان: المطلب الأول: علم الاستشراف (الماهية والأهمية). المطلب الثاني: علم الاستشراف (الموقع والآفاق)

الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات. فهرس المراجع.

الدراسات السابقة:

جرى البحث على أكثر من موقع في المكتبات الورقية والرقمية المتاحة، و سؤال أهل الاختصاص والمهتمين، فلم أجد كتابا بهذا العنوان، فشرعت العزم على القيام بهذه الدراسة، وهذه الدراسة تعد إحدى الإسهامات البحثية الهادفة في ميدان الرباط العلمي والمعرفي، الحارسة لثغور العقول والأفكار من الاختراق، وفي ذات الوقت تحرسها من الركود والاحتراق، ولست أدعي الإحاطة والكمال في مضمونها ونتائجها، ولا القطع المطلق في الإجابة عن كل تساؤلاتها؛ وإنما جهد المقل

ISSN : 2410-1818

الراجي من القراء والباحثين إكمال ما نقص، وتسديد ما اختل، وحسبي التوكل على الله والاستعانة به على ذلك، وهو نعم المولى، والهادي إلى سواء السبيل.

الفصـــل الأول: السؤال (الماهية والأهمية)

الحديث عن مصطلح السؤال يتطلب بيان ماهيته، وأهميته، وأداته، ومنطلقاته، وأثره في صناعة الحياة على جيل زمن النبوة، وعلى جيل النهوض الحضاري والعمراني في سائر الأزمان والعصور، فهو مفتاحٌ فعالٌ في تأسيس وتكوين المعارف والعلوم.

وفي هذا الفصل المكون من مبحثين سيكون الحديث عن: **المبحـث الأول: السؤال (الماهية والأداة)**
المبحث الثاني: السؤال (الأهمية والأثر)

المبحـث الأول: الســـؤال (الماهيـــة والأداة)

المطلب الأول: ماهيـــة الســـــؤال

الســؤال لغــة: يعود أصل السؤال إلى جذره اللغوي (سأل)، قال أهل اللغة: السين والهمزة واللام كلمة واحدة، يقال: سأل يسأل سؤالًا، و (السُّؤلُ): ما يسأله الإنسان، وَقُرِئَ: {أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَىٰ}[1] بِالْهَمْزِ وَبِغَيْرِهِ. وَ (سَأَلَهُ) الشَّيْءَ وَسَأَلَهُ عَنِ الشَّيْءِ (سُؤَالًا) وَ (مَسْأَلَةً) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}[2] أَيْ عَنْ عَذَابٍ وَاقِعٍ. قَالَ الْأَخْفَشُ: يُقَالُ: خَرَجْنَا نَ سْأَلُ عَنْ فُلَانٍ وَبِفُلَانٍ. وَقَدْ تُخَفَّفُ هَمْزَتُهُ فَيُقَالُ: سَأَلَ يَ سْأَلُ وَالْأَمْرُ مِنْهُ سَلْ وَمِنَ الْأَوَّلِ ا سْأَلْ. وَرَجُلٌ (سُؤَلَةٌ) بِوَزْنِ هُمَزَةٍ كَثِيرُ(الـ سُّؤَالِ)، وَ(تَ ساءَلُوا) سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.[3] ويسمى الفقير سائلًا، والسائل: الطالب.[4]

---

[1] – (سورة طه: 36).

[2] – (سورة المعارج: 1).

[3] – انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج3 ص 124. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، ص 140. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، لسان العرب، ج11 ص 318. الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص 1012. الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج29 ص 157 – 158.

[4] – انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج7 ص 301. لسان العرب، ج11 ص 318.

ISSN : 2410-1818

والسؤال في اللغة يأت بعدة معانٍ هي: استفهامٌ[1]، واستيضاحٌ[2]، واستخبارٌ[3]، وطلب[4].

السؤال اصطلاحًا: هُوَ استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال.[5]

والسؤال على ضربين: طلب مقال، وجوابه المقال. وطلب نوال، وجوابه النوال.[6]

المطلب الثاني: أداة السؤال

تعتبر أدوات الاستفهام إحدى أهم أدوات محفزات السؤال ووضوحه عند السائل والمسؤول، والاستفهام لم يأت في سياق الحديث عن السؤال ليكون حديثًا عارضًا، أو جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب؛ بل يعد الاستفهام أحد أهم أسس بناء السؤال، فحيث وجد السؤال وجدت معه أدوات الاستفهام التي من خلالها يعرف الغرض من السؤال، ولما كان السؤال أحد معانيه اللغوية الطلب؛ كان لابد من وضع أدوات له، تدل على ذات المعنى، فكانت أدوات الاستفهام هي تلك الدلالة التي استوفت المبنى ووضحت المعنى.

أولًا: الاستفهام لغة واصطلاحًا

- **الاستفهام لغة:**

الاستفهام لغة مصدر استفهمت، من الجذر اللغوي (فهم) " الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة: عَلِمَه؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ. وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه. واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتعفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا ".[7]

---

[1] – الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 83.

[2] – انظر: مختار الصحاح، ص 341.

[3] – انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ج4 ص 450. القاموس المحيط، ص 148. لسان العرب، ج2 ص 12.

[4] – العين، ج7 ص 301. لسان العرب، ج11 ص 318.

[5] – انظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص 210. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 501. تاج العروس، ج29 ص 157.

[6] – المفردات في غريب القرآن، ص 212.

[7] – لسان العرب، ج12 ص 459. تاج العروس من جواهر القاموس، ج33 ص 224.

ISSN : 2410-1818

- **الاستفهام اصطلاحًا:** يُعرِّف ابن فارس الاستفهام بأنه: " خُبْر ما ليس عند المستخبر".[1] كما يُعرَّف بأنه: " طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلومًا من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام".[2]

ثانيًا: أدوات الاستفهام

عند الحديث عن السؤال، لابد من التعريج على أسلوب بنائه، وإن كان لكل بناء أدوات؛ فأدوات الاستفهام هي بوابة بناء السؤال، حيث تنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين: أسماء، وحروف، وتكون لها الصدارة في الكلام.

فأما الأسماء فهي: من، ما، ماذا، متى، أيَّان، أين، أنَّى، كم، كيف، أيٌّ، ومثال ذلك:

1- من ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا[3]؟ من نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً[4]؟

2- وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ[5]؟ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ[6]؟

3- يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ[7]؟ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ[8]؟

4- مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ[9]؟ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ[10]؟

5- يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ[11]؟ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ[12]؟

---

[1] – ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ص 134.

[2] – مجلة التراث العربي، ص 76.

[3] – (سورة البقرة: 245).

[4] – (سورة العنكبوت: 63).

[5] – (سورة طه: 17).

[6] – (سورة البقرة: 68).

[7] – (سورة البقرة: 215)، (سورة البقرة: 219).

[8] – (سورة المائدة: 104).

[9] – (سورة البقرة: 214).

[10] – (سورة يونس: 48)، (سورة الأنبياء: 38)، (سورة النمل: 71)، (سورة سبأ: 21)، (سورة يس: 48)، (سورة الملك: 25).

[11] – (سورة الأعراف: 187)، (سورة النازعات: 42).

[12] – (سورة الذاريات: 12).

ISSN : 2410-1818

6- أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ[1]؟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ[2]؟

7- أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا[3]؟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا[4]؟

8- كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ[5]؟ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ[6]؟

9- رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ[7]؟ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ[8]؟

10- أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا[9]؟ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً[10]؟

وأما الحروف فهي: هل والهمزة، ومثال ذلك:

1- هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ هل يستوي الأعمى والبصير؟

2- أأنتم أشد خلقًا أم السماء؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين؟

---

[1] – (سورة الأنعام: 22).

[2] – (سورة الأعراف: 37).

[3] – (سورة البقرة: 259).

[4] – (سورة البقرة: 247).

[5] – (سورة المؤمنون: 112).

[6] – (سورة البقرة: 211).

[7] – (سورة البقرة: 260).

[8] – (سورة البقرة: 28).

[9] – (سورة مريم: 73).

[10] – (سورة الأنعام: 19).

ISSN : 2410-1818

ثالثًا: أنواع الاستفهام

يقسم أهل اللغة الاستفهام من حيث النوع إلى نوعين هما:

النوع الأول: الاستفهام الحقيقي، وهو ما " يتوخى به صاحبه معرفة ما يجهله "[1]، وهدفه طلب معرفة الحقيقة وفهمها، كـ سؤال نبي اللّٰه إبراهيم عليه الـ سلام ربَّه أن يريه كيف يحيي الموتى: {وَإِذ قَالَ إِبرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِ ٱلمَوتَىٰ قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي}[2].

النوع الثاني: الاستفهام المجازي، وهو ما " يكون السائل عالمًا فيه بما يسأل عنه، لكنه يقصد فيه معنى من المعاني المجازية التي يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص، وفقهه، وسبر ما يكمن وراءه من معانٍ وأسرار، وهذه المعاني المجازية ثرية ومتنوعة تتسع لشتى ضروب الفكر، ومختلف أحوال المشاعر "[3]، وتتعدد أغراضه ومعانيه بحسب سياق نص السؤال المستفهم عنه، وقد بينها ابن فارس وعددها حتى أوصلها لخمسة عشر غرض ونوع[4]، كالتعجب والتفخيم، والتوبيخ، والتفجع، والتبكيت، والتقرير، والتسوية، والاسترشاد، والإنكار، والعرض والتحضيض، والإفهام، والتكثير، والنفي، والإخبار والتحقيق، والتعجب[5].

رابعًا: من ولمن يطرح السؤال

في ظل النظر للسؤال كمحرك لتحصيل العلم والمعرفة؛ فنَّن علماؤنا ألية هذا المحرك المعرفي، فجعلوه أداةً وبوابةً لتحقيق مطلوبه، ونيل غايته، وعليه نجد الإمام الشاطبي في موافقاته يقرر هذا القانون فيقول: " إن السؤال إما أن يقع من عالم أو غير عالم، وأعني بالعالم المجتهد، وغير العالم المقلد، وعلى كلا التقديرين؛ إما أن يكون المسئول عالما أو غير عالم؛ فهذه أربعة أقسام:

الأول: سؤال العالم [للعالم]، وذلك في المشروع يقع على وجوه؛ كتحقيق ما حصل، أو رفع إشكال عن له، وتذكر ما خشي عليه النسيان، أو تنبيه المسئول على خطأ يورده مورد الاستفادة، أو نيابة منه عن الحاضرين من المتعلمين، أو تحصيل ما عسى أن يكون فاته من العلم.

---

[1] – مجلة التراث العربي، ص 76.

[2] – (سورة البقرة: 260).

[3] – نفس المصدر السابق.

[4] – انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 134 – 138.

[5] – انظر كذلك: مجلة التراث العربي، ص 77 – 88.

ISSN : 2410-1818

والثاني: سؤال المتعلم لمثله؛ وذلك أيضا يكون على وجوه كمذاكرته له بما سمع، أو طلبه منه ما لم يسمع مما سمعه المسئول، أو تمرنه معه في المسائل قبل لقاء العالم، أو التهدي بعقله إلى فهم ما ألقاه العالم.

والثالث: سؤال العالم للمتعلم، وهو على وجوه كذلك؛ كتنبيهه على موضع إشكال يطلب رفعه، أو اختبار عقله أين بلغ، والاستعانة بفهمه إن كان لفهمه فضل، أو تنبيهه على ما علم؛ ليستدل به على ما لم يعلم.

والرابع: سؤال المتعلم للعالم، وهو يرجع إلى طلب علم ما لم يعلم.

فأما الأول والثاني والثالث؛ فالجواب عنه مستحق إن علم، ما لم يمنع من ذلك عارض معتبر شرعا، وإلا؛ فالاعتراف بالعجز.

وأما الرابع؛ فليس الجواب [عنه] بمستحق بإطلاق، بل فيه تفصيل؛ فيلزم الجواب إذا كان عالما بما سئل عنه متعينا عليه في نازلة واقعة أو في أمر فيه نص شرعي بالنسبة إلى المتعلم، لا مطلقا، ويكون السائل ممن يحتمل عقله الجواب، ولا يؤدي السؤال إلى تعمق ولا تكلف، وهو مما يبنى عليه عمل شرعي، وأشباه ذلك، وقد لا يلزم الجواب في مواضع، كما إذا لم يتعين عليه، أو المسألة اجتهادية لا نص فيها للشارع، وقد لا يجوز، كما إذا لم يحتمل عقله الجواب، أو كان فيه تعمق، أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط، وفيه نوع اعتراض ".[1]

المبحث الثاني: السؤال (الأهمية والأثر)

المطلب الأول: السؤال في القرآن والسنة

أولًا: السؤال في القرآن

لم يغفل القرآن الكريم دور السؤال في طلب العلم والحصول على المعرفة، مما يوحي بأهمية السؤال باعتباره مصدرًا من مصادر المعرفة، ولأجل هذه الأهمية ورد لفظ السؤال في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعًا بمادته وهيأته[2]، على النحو الآتي:

---

[1] – الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1 – 1997م، ج5 ص 371 – 374.

[2] – المادة: تعني السؤال بلفظ السؤال. والهيئة: تعني السؤال ليس بلفظ السؤال وإنما بما يؤدي إلى الطلب ك (يستفتونك).

ISSN : 2410-1818

1- يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ[1]. يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ[2] يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ[3]، يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ[4]. وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ[5]. وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ[6]. وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ[7]. يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ[8]. يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا[9]. يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ[10].وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ[11]. وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ[12].وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ[13].يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا[14].وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ[15]. يَسْتَفْتُونَكَ[16].

ثانيًا: السؤال في السنة

لقد كان السؤال في النهج النبوي أحد مفاتيح البلاغ التربوي والمعرفي إلى مطلوبات الدين من الإنسان المستخلف في مضمار العبادة والعمران، وهنا نورد بعضًا من هذه الأحاديث تأكيدًا على هذا المسعى الراشد:

1- قال صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا))[17].

---

[1] – (سورة البقرة: 189).

[2] – (سورة البقرة: 215).

[3] – (سورة البقرة: 217).

[4] – (سورة البقرة: 219).

[5] – (سورة البقرة: 219).

[6] – (سورة البقرة: 220).

[7] – (سورة البقرة: 222).

[8] – (سورة المائدة: 107).

[9] – (سورة الأعراف: 174).

[10] – (سورة الأنفال: 1).

[11] – (سورة الإسراء: 85).

[12] – (سورة الكهف: 83).

[13] – (سورة طه: 105 – 107).

[14] – (سورة النازعات: 42 – 46).

[15] – (سورة النساء: 127).

[16] – (سورة المائدة: 176).

[17] – سبق تخريجه.

ISSN : 2410-1818

2- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم عن أَشْيَاءَ كَرِهَهَا[1].

3- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أحفوه بالمسألة))[2].

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سَلُونِي فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ))[3].

5- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينا نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ طَلَع علينا رَجلٌ شديدُ بياض الثيابِ شديدُ سوادِ الشَّعَر، لا يُرى عليه أثَرُ السفَر ولا نَعرفُه، حتى جَلَسَ إلى النبيّ-صلى الله عليه وسلم- فاسنَد رُكبتَيه إلى رُكبتَيه ووضَع كفَّيْه على فَخِذَيه، ثم قال: يا محمَّد، أخبرني عن الإسلام،[4].

6- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا))[5].

7- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ، قَالَ: " ((سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ،[6]))[7].

8- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[8] قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: ((سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ))[9].

المطلب الثاني: السؤال وأثره في جيل الصحابة

لمَّا كانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم الحث والإرشاد على سؤاله لكونه مرجعية البلاغ والإرشاد والمعرفة؛ جاء الجيل الذي تربى على يده الشريفة، وصُنع على عينه المباركة، فاستلهم قيمة السؤال كبوابة من أبواب العلم والمعرفة، ممارسًا له، وناقلًا للجيل المتربي على أيديهم، والمتلقي منهم،

---

[1] – صحيح البخاري، ج6 رقم 6861 ص 2659.

[2] – متفق عليه: صحيح البخاري، ج5 رقم 6001 ص 2340. صحيح مسلم، ج4 رقم 2359 ص 1834.

[3] – صحيح مسلم، ج1 رقم 10 ص 40.

[4] – صحيح مسلم، ج1 رقم 8 ص 36.

[5] – ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج5 رقم 3842 ص 15، قال المحقق: صحيح لغيره.

[6] – (سورة البقرة: 90).

[7] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج4 رقم 2515 ص 310 – 312، قال المحقق: حديث حسن.

[8] – (سورة الشعراء: 214).

[9] – صحيح مسلم، ج1 رقم 205 ص 192.

ISSN : 2410-1818

أهمية هذا المسلك، وفاعلية هذا المسعى في استدعاء المعرفة، وتحصيل العلم، فكانت سؤالاتهم وتساؤلاتهم في شتى المجالات، كالعقائد والعبادات، والعادات والمعاملات، والعلاقات وحسن الخلق، والعاطفة والمشاعر، والحقوق والأموال، والصحة والنظافة، والدعوة والتربية، والقصص والأنساب، والعلوم والمعارف، والخير والشر، والأولويات والمعجزات والاستشراف، وغيرها الكثير من الأسئلة التي وجهت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي مبثوثة في مظانها، ولا يتسع المقام لعرضها.

وفي هذا المطلب نستدعي بعضًا من هذه المواطن الدالة على مكانة السؤال وأثره عند هذا الجيل:

1- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: أنَّ وفدَ ثَقِيفٍ سَأَلُوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضٌ بَارِدَةٌ، فَكَيْفَ بِالْغُسْلِ؟))[1]. عن معيقيب رضي الله عنه: أَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ المسح في الصلاة؟ فقال: ((واحدة))[2]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوِتْرِ؟ فَقَالَ: ((أَوْتِرُوا قَبْلَ الصُّبْحِ))[3]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَزْلِ؟))[4]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَصَبْنَا سَبَايَا فَكُنَّا نَعْزِلُ، ثُمَّ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ؟))[5]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أنَّ أهلَ مكة سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يريهم آية. فَأَرَاهُم انشِقَاقَ القَمَرِ، مَرَّتَين.[6]. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَهِيَ مِنْ نَسْلِ الْيَهُودِ؟))[7]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

[1] – صحيح مسلم، ج1 رقم 328 ص 259.

[2] – صحيح مسلم، ج1 رقم 546 ص 388.

[3] – صحيح مسلم، ج1 رقم 754 ص 520.

[4] – صحيح مسلم، ج2 رقم 1438 ص 1064.

[5] – متفق عليه: صحيح البخاري، ج5 رقم 4912 ص 1998. صحيح مسلم، ج2 رقم 1438 ص 1062.

[6] – متفق عليه: صحيح البخاري، ج4 رقم ٤٥٨٦ ص 1844. صحيح مسلم، ج4 رقم 2802 ص 2159. واللفظ لمسلم بزيادة (مرتين).

[7] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج6 رقم 3747 ص 293، قال المحقق: حديث حسن لغيره.

ISSN : 2410-1818

سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَنِينِ النَّاقَةِ وَالْبَقَرَةِ،))[1]. عَنْ الشَّعْبِيِّ (عامر بن شراحيل)، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ ثَقِيفٍ، قَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا،))[2].

2- عن ثمامة بن حزن القشيري قال: لَقِيتُ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُهَا عَنِ النَّبِيذِ؟))[3]. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ،))[4].عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، بِمِنًى، لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ،))[5]. عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اللُّقَطَةِ، الذَّهَبِ أَوِ الْوَرِقِ؟))[6]. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟))[7].

3- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِتْعِ[8]؟))[9]. عن جابر ين عبدالله رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا.[10]. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْهِجْرَةِ؟))[11]. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَقْتِ الصَّلَوَاتِ؟))[12]. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟))[13].

---

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج18 رقم 11496 ص 69، قال المحقق: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

[2] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج29 رقم ١٧٥٣٠ ص 71، قال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير شِماك– وهو الضبي الكوفي الأعمى– فقد روى له أصحاب السنن سوى الترمذي، وهو ثقة.

[3] – صحيح مسلم، ج3 رقم 1995 ص 1579.

[4] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج28 رقم ٢٣٢٨٢ ص 316 – 317، قال المحقق: حديث حسن.

[5] – صحيح مسلم، ج2 رقم 1306 ص 948.

[6] – صحيح مسلم، ج3 رقم 1722 ص 1349.

[7] – صحيح مسلم، ج3 رقم 1904 ص 1513.

[8] – البتع: هو نبيذ العسل، وهو شراب أهل اليمن. قال الجوهري: ويقال أيضا بفتح التاء المثناة. انظر: صحيح مسلم، ج3 ص 1585.

[9] – صحيح مسلم، ج3 رقم 2001 ص 1585.

[10] – صحيح مسلم، ج4 رقم 2311 ص 1805.

[11] – صحيح مسلم، ج4 رقم 1864 ص 1488.

[12] – صحيح مسلم، ج1 رقم 612 ص 427.

[13] – صحيح مسلم، ج1 رقم 42 ص 66.

ISSN : 2410-1818

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الأعمال أَفْضَلُ؟))[1]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟))[2].عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟))[3]. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ؟))[4].عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟))[5]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكَبَائِرِ، أَوْ ذُكِرَهَا))[6]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ النَّارَ،))[7].

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ فَأْرَةٍ وَقَعَتْ فِي سَمْنٍ، فَمَاتَتْ،))[8]. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟))[9]. عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ الْمَذْيِ))[10]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟))[11].

---

[1] – صحيح مسلم، ج1 رقم 83 ص 88.

[2] – صحيح البخاري،ج4 رقم 4412 ص 1729.

[3] – صحيح البخاري، ج2 رقم 1745 ص 654.

[4] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج45 رقم ٢٧٥٥٦ ص 538، قال المحقق: صحيح لغيره.

[5] – صحيح مسلم، ج1 رقم 782 ص 541، بلفظ: أي العمل.... مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج42 رقم ٢٥٤٧٢ ص 299، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[6] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج19 رقم ١٢٣٦٩ ص 367، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[7] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج13 رقم ٧٩٠٧ ص 287، قال المحقق: حديث حسن.

[8] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج12 رقم 7177 ص 101، قال المحقق: حديث صحيح.

[9] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج11 رقم 6645 ص 224 – 225، قال المحقق: قال الحكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[10] – ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج1 رقم 504 ص 316، قال المحقق: حديث صحيح.

[11] – ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، صحيح ابن حبان، ج4 رقم 3442 ص 287، قال ابن بلبان الفارسي في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: حديث صحيح. انظر: ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج16 رقم 7107 ص 40 – 41.

ISSN : 2410-1818

5- عن أبي بردة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ أَوْ أَفْضَلُ؟))[1].

الفصل الثاني: العقــل والحدود

العقل أداة التعقل والتفكير، ومناط التكليف والتشريف، له في المنظور الإسلامي مساحة ترسم له حدود التشغيل والتفعيل، ليكون منسجمًا مع الفطرة والقدرة المنوطة به، وليخرج من نزعة الهوى المظل، والإطلاقية المنحرفة، التي تنعكس على ذات الإنسان، في بنائه وتصوراته، وتصرفاته ومآله. وفي هذا الفصل المكون من مبحثين سيكون الحديث عن:

المبحـــث الأول: العقل (الموقع وحدود التشغيل) المبحث الثاني: سـؤال العلم ومضمار التفعيـــل

المبحث الأول: العقل (الموقع وحدود التشغيل)

المطلب الأول: العقل وعلوم الغيب

لمَّا خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه على بقية مخلوقاته { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }[2]، وكمله وميزه عن سائر الخلق بأن منحه أدوات العلم التي ميزته عن غيره- { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }[3]- وجعلته يميز ما حوله، ويتعلم ما يجهله، ويبحث عما ينقصه؛ كان الفضول البشري الذي جبل عليه الإنسان يدفعه دوماً للبحث ومعرفة كل ما هو جديد، حتى لو كان هذا الجديد خارج حدود الأرض التي يسكنها. ولعلم الخالق سبحانه وتعالى برغبات وطموح هذا المخلوق، لم يفرض حدوداً مطلقة على هذه الأدوات التي منحت للإنسان ما دامت تقوده إلى العلم والمعرفة والفهم، لذلك نجده سبحانه وتعالى يخاطب هذه الفطرة المتحفزة لمعرفة كل ما هو جديد فيطلق لها العنان في التفكر في ملكوته: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }[4]، كما يدعو الإنسان

---

[1] – الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ج2 رقم 2158 ص 12. أورده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من طريق رافع بن خديج رضي الله عنه، قال المحقق: حسن لغيره. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج28 رقم ١٧٢٦٥ ص 502.

[2] – (الإسراء: 70).

[3] – (الإسراء: 36).

[4] – (آل عمران: 190 – 191).

ISSN : 2410-1818

لإعمال عقله في النظر فيقول سبحانه: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[1]، {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[2]، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[3]، وغيرها من الآيات التي تحفز العقل وتدعوه إلى التفكر والنظر في ملكوت الله للوصول إلى حدود الغيب النسبي عن طريق البحث والنظر والاستقراء الموصل للحقائق العلمية، لا عن طريق الخرافات والشعوذات الملغية لدور العقل والمهينة لكرامة الإنسان.

فالمرجعية الإسلامية تهتم بالعلم والعقل وتطلق لهما مجال البحث في كل مسارات الحياة؛ كون الحقيقة والمرجعية لا يصطدمان ببعضهما مطلقاً. لذلك حين جاء الإسلام ووجد هذه الأدوات قد عطلت واستبدلت، فبدلاً من العلم والمعرفة القائمين على البحث والتقصي والقياس والتجربة، كان الارتهان للكهنة والعرافين والمشعوذين والمقلدين، وغيرهم ممن ارتهن الناس إليهم واعتقدوا بهم إشباعاً لرغباتهم الفطرية لمعرفة كل ما غاب عنهم، متخذين في سبيل ذلك الطرق والوسائل الخاطئة التي جعلتهم معاقين في تفكيرهم وفي عقائدهم، مغيبين ومتخلفين في ميادين الحياة المختلفة، فوصفهم الله بقوله: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[4]، فبسبب تعطيلهم لأدوات العلم، وركونهم إلى أدوات الجهل وميادين الخرافة؛ خسروا إنسانيتهم التي بسببها كُرِّموا، ومن أجلها فُضِّلوا، فجاء الإسلام مُحررًا لعقل الإنسان، ومنقذًا له من الوهم والخرافة، وحافظًا له من الإهمال والتسطيح، وأعاده إلى ميدان وجوده وغاية فطرته، كي ينطلق في رحاب هذا الكون الفسيح مُشبعاً رغباته بإعمال عقله في التفكر والتدبر الموصل إلى الحقائق العلمية عبر الدليل والبرهان، ومستنفداً الجَهد فيما ينفعه وينفع أمته وحضارته.

إن الرسالة الإسلامية تعلن بكل وضوح أنه وبمجيء الإسلام انتهى زمن الغيبيات والخرافات واستراق السمع واختلاق الأكاذيب والأباطيل، وحل محله دين الرشد والعلم والمعرفة والحجة والبرهان، وأن الغيب لله وحده، قال سبحانه وتعالى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا

[1] – (يونس: 101).

[2] – (العنكبوت: 20).

[3] – (الغاشية: 17 – 20).

[4] – (الأعراف: 179).

ISSN : 2410-1818

نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا }[1].

إن طاقة البحث وراء الغيبيات التي ظل الإنسان يجري وراءها ويسعى خلف أدعيائها؛ تُمثل استثماراً متبدداً في الجهد البشري غير مستَغلٍ فيما ينفع بل فيما يضر، لذلك كانت رؤية الرسالة الإسلامية لهذه الطاقة أن تستثمر في محلها، وأن تُوجَّه إلى ميادين عملها، بدلاً من الانشغال والجري خلف غيبيات لا مجال للعقل البشري في إدراكها، بل إن الانشغال بها ضياع لغاية الإنسان في الوجود، ودمار لقواه التي حباه الله بها وكرمه على سائر خلقه، ومهما حاول العقل البشري المعاصر من ادعاء الاستطاعة على معرفة الغيبيات، وما هو من مستأثرات الغيب عند الله؛ فهو ادعاءٌ موهوم ومخموم يعيش في سراب المعرفة التي لا تفرق بين مطلق الغيب ونسبيته.

المطلب الثاني: العقل وضوابط الفطـــرة في الرسالة الإسـلاميـة

إن الرسالة الإسلامية لم تأت لكبت هذه الفطرة الموجودة في نفس الإنسان من حبه لمعرفة الغيب والمجهول، وإنما وازنت بين طبيعة فطرته وحقيقة مداركه، فجعلت له مجالاً لمعرفة المجهول المقدور عليه عبر استنفاده الوسع في تحصيل العلم والبحث والاطلاع والنظر الموصل إلى معرفته، كما ضبطت تجاوزات تطلعاته لمعرفة الغيبيات التي لا حدود للعقل البشري إليها بعقيدة الإيمان بالغيب الذي استأثر الخالق سبحانه وتعالى بعلمه، قال سبحانه: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا }[2]، {لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} ولا يملك السلطان إلا صاحب السلطان)).[3] فحين تبذل الأسباب لتحصيل هذا السلطان، ويوفقك صاحب السلطان سبحانه لتحصيله، فحينئذٍ ستنكشف أمامك وتتجلى بعض من تلك المجهولات التي كانت محجوبة عنك فكشفها الله لك بسلطان العلم والمعرفة، ومع تحقيق وتحصيل العلم والمعرفة أبواب مفتوحة لمعرفة المجهول {فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[4].

1- (الجن: 8 – 10).

2- (الرحمن: 33).

3- في ظلال القرآن، ج6 ص 3456.

4- (الرحمن: 33).

ISSN : 2410-1818

والإنسان من خلال هذا التوازن بين حدود الغيب واستشرافات العلم؛ يجد الاستقرار النفسي في فطرته، كما يجد الدافع لتحرير طاقاته المكنونة وتوجيهها إلى المفيد الذي حثه عليه الدين، واستغلالها في أبواب العلم والمعرفة الموصلة إلى الحقائق العلمية التي لا تصطدم مع فطرته وعقيدته.[1]

المبحث الثاني: سؤال العلم ومضمار التفعيل

المتأمل في قوله سبحانه وتعالى: { فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[2]، وقول النبي ﷺ: ((أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِي السُّؤَالُ))[3]، وفي قوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ }[4]، وقول النبي ﷺ: ((مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلاَفُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))[5]، قد يتبادر إلى ذهنه وجود تعارض بين النصوص الآمرة بالسؤال، وبين النصوص الناهية عنه! والحقيقة أنه لا يوجد أي تعارض بين هذه النصوص، بل هي في تمام التوافق والانسجام التي تراعي مكانة العقل الفطري والشرعي، وحين النظر فيها نفهم منها أن أسئلة العلم على قسمين:

القســـــم الأول: الســـــــؤال المفروض

القسم الثاني: السؤال المرفــوض

وفي هذا المبحث نسلط الضوء عليها، لنناقشها في مطلبين.

المطلب الأول: السؤال المفروض

نعني بفرضية السؤال ليس المدلول الأصولي البحت في مفهوم الفرض ومعناه؛ وإنما نعني به الفرضية الطلبية التي يندرج تحتها أقسام الأحكام الثلاثة المندرجة في طلب الفعل، بين الإلزام/ الوجوب، وعدمه / المندوب، والتسوية بين الفعل والترك / المباح، وعليه فإن السؤال تتحدد درجة حكمه بالوجوب حينما يتعلق الأمر بأصول العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاقيات، التي لا ينبغي جهلها ممن قبل المُكلَّف. وتتحدد درجة حكمه بالمندوب حين يتعلق الأمر بالمكلف في الازدياد من العلم

---

[1]– لسيد قطب كلام جميل في الموضوع يوضحه بجلاء في كتابه في ظلال القرآن، ج6 ص 3731 – 3732.

[2] – (سورة النحل: 43).

[3] – سبق تخريجه.

[4] – (سورة المائدة: 101).

[5] – سبق تخريجه.

ISSN : 2410-1818

والمعارف، مالم يكن من درجة الفروض الكفائية المتعلقة بقضايا المجتمع، ومجموع الأمة، وإنما فيما يتعلق بأحواله الشخصية. وتتحدد درجة حكمه بالإباحة التي تعني استواء الفعل والترك في ذات المباح، مالم يكن وسيلة إلى غيره، وحينئذٍ يأخذ الأحكام التكليفية الأربعة بحسب وصله بها، فما كان حرامًا مقصدًا فوسيلة السؤال فيه حرام، وما كان مكروهًا فوسيلة السؤال إليه مكروهًا، وما كان واجبًا فوسيلة السؤال فيه واجبًا، وما كان مندوبًا فوسيلة السؤال فيه مندوبًا، وهو التوصيف الكلي لما يسميه الإمام الشاطبي في موافقاته، المباح بالجزء، المباح بالكل، ويعني بالجزء ما يختص بمباح استواء الفعل والترك، وبالكل ما يتحول إلى وسيلة لمقصد تأخذ حكم مقصدها بالنسبة للأحكام التكليفية الأربعة.[1]

ولعلَّ السؤال المفروض يتوضح أكثر ضمن اعتبار المكلَّف القائم به، من حيث العينية والكفائية، فالعينية تكليف في حدود الشخص ذاته وما يتعلق به، وهذا لم تعنه هذه الدراسة بشكل أساسي؛ وإنما المعني الفرض الكفائي المتعلق بمجموع الأمة الذي هو سبيل إلى تنمية المجتمعات ونهوضها، ومن ثم تحضرها في كل مجالات الحياة، وهذا يعني أن السؤال المفروض ليس ما يعده الشرع مفروضًا في حدود الشعائر والمناسك؛ وإنما هو مفروضٌ بالنسبة لبناء الدولة والممالك.

وعليه يعد السؤال المفروض في إطار هذه الدراسة، سؤال نحو البحث عن مكامن صحوة المجتمعات القوية، وإقامة الدول الناهضة، لتتشكل أمة البعث والنهوض الحضاري، فتتكامل فيها بناء الفرد في شعائره ووظائفه، وصحوة المجتمعات في حركتها ووعيها، وقيام الدول بالنهوض والتحضر المنشود منها.

وهذا القسم من الأسئلة المفروضة بالغة الأهمية بالنسبة للمجال الذي يعمل فيه السؤال، أو تلك العلوم التي يجب على المسلم معرفتها، كالمعلوم من الدين بالضرورة، وكالمتعين علمه حال وقوعه أو توقعه، فهي أسئلة تقود السائل إلى معرفة ما يجب عليه فهمه ومعرفته فيما يخص دينه ودنياه، سواء على المستوى الفردي، أو المستوى الجمعي.

أولًا: المستوى الفردي

يصير السؤال مفروضًا في حق الشخص في المنظور الإسلامي في الصور الآتية:

سؤال فروض العين، وهي:

أ- أسئلة الإيمان والتوحيد (أركان الإيمان).

[1] – انظر: الموافقات للشاطبي، ج1 ص 203.

ISSN : 2410-1818

ب- أسئلة الفرائض والعبادات (أركان الإسلام).

ت- أسئلة الحلال والحرام، وهي ما يختص بعلم الكبائر،

ث- أ سئلة المعاملات، وهي التي تختص بـ ـ (البيع، الـ شراء، التجارة، الأ سرة، الزواج، الطلاق، العلاقات...).

1- سؤال فرض الكفاية[1]، وهو:

أ- العبادات، كـ (صلاة الجنازة، صلاة العيدين، صلاة الكسوف والخسوف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحرير أسرى المسلمين...).

ب- المعاملات، كتعلم (المهن والتخصصات العلمية وإتقانها...).

ثانيًا: المستوى الجمعي

تتشكل المجتمعات من كيانات ومؤسسات تُعد رافعة بنائها، وعماد نهضتها، ولذا يأتي سؤال البناء العلمي والمعرفي والعمراني والنهضوي في حقها مفروضًا، ولأن الكيانات تختلف عن المؤسسات، باعتبار الكيانات تمثل منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات تمثل نظام الحكم والسلطة؛ فإنه يتحتم وضع مكانة السؤال بحسب دور كلًا منهما، بما يتسق مع مهامه وموقعه، وهنا نورد مجموعة من الأسئلة المفروضة في حق المكونات والمؤسسات تكتنز إجابات واسعة، لا يمكن بأي حال احتواءها في هذه الدراسة، لكونها تستدعي البسط والاتساع من قبل مراكز الدراسات والأبحاث، ومنتديات اللقاءات العلمية والثقافية، ومؤسسات التربية والتعليم، لذى كانت بهذا الإيجاز المتمثل في الآتي:

أ- سؤال المكونات: ونعني بها منظمات المجتمع المدني، والتي تعد رافعة البناء الاجتماعي، والنهوض القيادي والإداري للمجتمع والدولة.

وعليه تتحدد أسئلة المكونات في الآتي:

1- سؤال المشروعية: هو في حقها يعد سؤال الأحقية والصلاحية في الوجود والظهور من حيث الشرع والدستور والقانون.

2- سؤال البناء والتكوين: هو الذي يهتم ببناء الفرد علميًا، وفكريًا، وثقافيًا، وتربويًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، ورياضيًا، ووطنيًا... وغيرها من مجالات البناء والتكوين، التي ترفع من شأن الفرد والمكون على حد سواء.

3- سؤال القيم: هو الذي يعبر عن قيمة المكون في حركته من خلال رؤاه وأهدافه وبرامجه.

4- سؤال الاهتمام والمهام: هو الذي يعمل في مجال اهتمامات وتخصصات الأفراد، ويترجمها إلى مهام ومجالات تلبي رؤى وأهداف المكون من خلال هذه المجالات والقدرات التخصصية.

[1] – فرض الكفاية: هو الفرض الذي إذا قام به البعض الكافي سقط عن الباقين.

ISSN : 2410-1818

5- سؤال العلاقات: هو الذي يجيب عن مساحة التكامل والتفاعل والتواصل مع الأفراد والجهات والمكونات والدول، من حيث اتساقها وانسجامها مع سؤال المشروعية.

هذه الأسئلة الخمسة من وجهة نظري تعد أسئلة مركزية كلية كبرى في حق المكونات، تحتوي أسئلة فرعية واسعة متعددة، تسمح للباحثين بتوليدها والبحث والإجابة عنها.

ب- سؤال المؤسسات: ونعني بها نظام الحكم والسلطة في الدولة، والتي تعد راعية النهوض، وحامية الحدود والجهود والموارد، المؤطرة بالدستور والقانون الذي يحدد حدود وقيود حركة المجتمع والدولة في ثنائية توازن المسير والمصير المشترك، كما يحدد القواعد الأساسية لشكل الدولة ونظام الحكم.

وعليه تتعدد أسئلة المؤسسات في الآتي:

1- سؤال الدين والهوية: الذي تعبر عنه السياسة الشرعية بحراسة الدين، وسياسة دنيا المجتمع به، فيتحول إلى هوية جمعية تشكل رؤى وخيارات وحركة المجتمع ومساره.
2- سؤال الإقليم والسيادة: هو الذي يحدد مساحة وحدود الوطن الصغير من كل الوطن العربي والإسلامي الكبير، بما يحقق التملك الملموس، والتكامل المحسوس.
3- سؤال القيادة والإدارة: هو الذي يهتم ببناء العقول، وصناعة القدرات المؤهلة لإدارة مؤسسات الدولة.
4- سؤال الأمن والسلم: هو الذي يعمل على تحقيق الاستقرار والتنمية المجتمعية والقبول بالتعايش المشترك والحفاظ على ثوابت وآداب النظام العام للمجتمع، وبناء المؤسسات الأمنية الضامنة لهذا الاستقرار والتعايش وفق الدستور والقانون الكافل للحقوق والحريات.
5- سؤال الاقتصاد والثروة: هو الذي يتبنى اكتشاف وبناء موارد الثروة القومية للدولة، ويعمل على إنمائها، ورفاه المجتمع.
6- سؤال الإعداد والقوة: هو الذي يعمل على بناء جيش قوي العدد والعدة والإعداد، واضح المهام والعقيدة، في إطار الثوابت الدينية والوطنية.
7- سؤال البناء والإعمار: هو الذي يتكفل بمهام توفير البنى التحية وفق منظور الجمال والنظام في هندسة المدن والدول.
8- سؤال الحقوق والحريات: هو الذي يحفظ للإنسان كرامته في كل ما هو متاح له شرعًا وقانونًا.
9- سؤال العدل والمساواة: هو الذي يضمن توزيع الحقوق المستحقة، مع اعتبار الفروق والامتيازات المقرة شرعًا وقانونًا.
10- سؤال العلم والتربية: هو التكفل ببناء المحاضن، وإعداد المناهج التربوية والتعليمية، والاستفادة من العلوم والمعارف والتكنولوجيا عبر الابتعاث والاستقدام، والعمل على إخراج جيلٍ راشدٍ في البناء والعطاء، وفاعلٍ في الولاء والانتماء الديني والوطني.

ISSN : 2410-1818

11- سؤال النزاهة والكفاءة: هو الذي يتكفل بإدارة الدولة من خلال مفهوم الحوكمة الراشدة، التي تقوم على مبدأ القوة في التخصص والأداء، والأمانة في المسؤولية والنزاهة.

12- سؤال الإرشاد والإعلام: هو الذي يهتم بروافع البناء التوعوي، عبر ترشيد الخطاب المعزز للقيم الدينية والوطنية.

13- سؤال البيئة والصحة: هو الذي يهتم بتخطيط وتشكيل مساحة المدن والدولة، وتوفير أهم المقومات الحيوية الجاذبة والملبية لاحتياجات المجتمع، بما يتوافق مع المعايير الصحية والبيئية.

14- سؤال الفن والجمال: هو الذي يهتم بتشكيل الذوق المجتمعي الرفيع بما يتفق مع جماليات القيم الإسلامية وهوية المجتمع الوطنية.

15- سؤال العلاقات والمعاملات: هو الذي يرسم شكل التحالفات والتعاهدات والتعاقدات الداخلية والخارجية الملبية لتطلعات المجتمع والدولة تحت ناظم الدستور والقانون.

16- سؤال النهضة والاستشراف: هو الذي يعمل على تنمية إمكانات ومقدرات الدولة، وتطوير روافع ومجالات بناء الإنسان والعمران - بالقيم والعلم والقيادة والإدارة والمهارة والمهن والصناعة... □ وبناء ودعم مراكز الدراسات والأبحاث المعالجة من تجارب الماضي، المعززة لبناء الحاضر، المتطلعة لنهضة المستقبل.

إن مجموع الأسئلة المذكورة تعد أسئلة مركزية كلية كبرى في حق المؤسسات، تعطي الباحثين مساحة للبناء عليها، والتفريع منها، والإجابة عليها.

هذه السؤالات والتساؤلات في حق الأفراد، والمكونات، والمؤسسات، تأتي في إطار الفروض العينية والكفائية التي لها تفصيلات وتفريعات لا يتسع المجال لعرضها والتفصيل فيها، وهي في احتياج لوضعها في محراب الدراسات والبحوث العلمية الناظمة لها في إطار كلي، يحفظ لهذه السلسلة من السؤالات والتساؤلات موقعها ومكانتها في تشكيل موجهات برامج بناء الفرد والمكونات والمؤسسات.

المطلب الثاني: السؤال المرفوض

بعد أن أوردنا فيما سبق نصوص من الكتاب والسنة تحث وتحض على السؤال، فقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية كذلك نصوص تفيد النهي عن السؤال، وهذا قد يوحي للبعض وجود تعارض مشكل، ولكنه عند التحقيق والنظر يظهر الانسجام بين مجموع تلك الأدلة بالنظر إلى سياقاتها ودلالاتها، وفي هذا المطلب نقف على مفاد النهي عن السؤال في القرآن والسنة النبوية.

ISSN : 2410-1818

قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَاوَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[1]، ليس المقصود سؤال الحق والحقيقة والبحث عنهما من خلال الوسائل المتعددة ومنها وسيلة السؤال؛ فهذا السؤال مشروع ومحبوب في إطار الكسب المعرفي، وفقه التعبد والاستخلاف النهضوي الحضاري، وهو وسيلة لا يكتمل واجب الأداء الفكري الناهض إلا بها؛ إنما المقصود بالمنع والنهي هو سؤال التعنت والتكلف والبحث عما لا يفيد في الحال ولا المآل، فذم السؤال كما جاء في الآية، ليس ذمًا لذات السؤال؛ وإنما لذلك السؤال الذي يؤول إلى قصد التعنت والمبالغة والتكلف، فتنتج عنه أحكامٌ تخرج عن حدود القدرة البشرية ومقصد الشارع الحكيم، قال تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}[2]، تلك هي أسئلة التكلف والتعنت التي واجه بها اليهود أنبياءهم، لا من أجل العمل ولا من أجل الفكر، فكانت محط الذم والنهي، باعتبارها تقزيمًا وتحجيمًا وتسطيحًا لمكانة ودور العقل، واستخفافًا واستهتارًا بمكانة الإنسان، وعبثًا بحقيقة وجوده الهادف وفطرته السليمة، كما هي متصادمة مع علم الغيبيات التي لا قدرة للعقل على إدراكها، أو تلك التي تفتح باب التعسير على الخلق، أو التي تعمل على تسطيح العقل الإنساني فتدنيه ولا تعليه، وتسقطه ولا ترفعه.

وقد وضح وعدد الإمام الشاطبي – رحمه الله – مواطن منع وكراهة السؤال، بما يقرب من عشرة أسئلة نذكرها بإيجاز " السؤال عما لا ينفع في الدين[3]، أن يسأل بعد ما بلغ من العلم حاجته[4]، السؤال من غير احتياج إليه في الوقت[5]، أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها[6]. أن يسأل عن علة الحكم، وهو من قبيل التعبدات التي لا يعقل لها معنى، أو السائل ممن لا يليق به ذلك السؤال كما في حديث قضاء الصوم دون الصلاة، أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق[7]، أن يظهر من السؤال

---

[1]– (سورة المائدة: 101).

[2] – (سورة البقرة: 108).

[3] – كسؤال عبد الله بن حذافة: "من أبي"صحيح البخاري، ج6 رقم 6861 ص 2659.

[4] – كما سأل الرجل عن الحج: أكل عام؟ مع أن قوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت} (سورة آل عمران: 97).

[5] – وعليه يدل قوله: ((ذروني ما تركتكم))سبق تخريجه.

[6] – كما جاء في النهي عن الأغلوطات: الشدائد وصعاب الأمور، أو هي: المسائل التي يحصل منها الإعياء والاستغلاق وعدم الاهتداء إلى وجهها. انظر: الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ج1 ص467.

[7] – وعلى ذلك يدل قوله تعالى: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} (سورة ص: 23).

ISSN : 2410-1818

معارضة الكتاب والسنة بالرأي[1]،السؤال عن المتشابهات[2]، السؤال عما شجر بين السلف الصالح،[3]، سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام[4]. هذه جملة من المواضع التي يكره السؤال فيها، يقاس عليها ما سواها، وليس النهي فيها واحدًا، بل فيها ما تشتد كراهيته، ومنها ما يخف، ومنها ما يحرم، ومنها ما يكون محل اجتهاد، وعلى جملة منها يقع النهي عن الجدال في الدين" [5].

إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نهت عن السؤال، كمثل أسئلة التفريعات للأحكام التي فيها من التكلف ما يترتب عن الخوض فيها تكاليف شرعية كان المسلم في غنىً عنها[6]؛ إنما نهت عنه لما تحمله من كلفة ومشقة وعسر على الفرد أو الجماعة المسلمة، والتي تتنافى مع روح اليسر والتيسير التي جاءت به الشريعة الإسلامية، وهذا النهي عن مثل هذا السؤال، باعتباره سؤالًا مرفوضًا في الشرع، إنما كان منهيًا عنه ومرفوضًا طرحه أو التعاطي معه للأسباب الآتية:

1- ورود النهي الصريح في الشريعة عن مثل هذه الأسئلة، قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[7]، لربما يترتب على طرحها إجابات تسوؤهم ولا ترضيهم، أو تكاليف لا يطيقون حملها.
2- أنها تُفضي إلى أحكام مشددة بسبب السؤال عنها؛ كونها تتنافى مع فقه التيسير في الشريعة، قال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[8].

---

[1] – ولذلك قال سعيد: "أعراقي أنت؟ "مالك بن أنس، موطأ مالك، ج2 ص 860، من طريق ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن سعيد بن المسيب.

[2] – وعلى ذلك يدل قوله تعالى: {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه} (سورة آل عمران: 7).

[3] – وقد سئل عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين؛ فقال: "تلك دماء كف الله عنها يدي؛ فلا أحب أن يطلخ بها لساني"جامع بيان العلم وفضله، ج2 رقم 1778 ص 934.

[4] – وفي القرآن في ذم نحو هذا: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام} (سورة البقرة: 204).

[5] – الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، ج5 ص 388 – 392.

6- ((ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفي التأول مندوحة))، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة التعاليم، ص 269.

7- (سورة المائدة: 101).

8- (سورة المائدة: 101).

ISSN : 2410-1818

3- مخالفتها لهدي النبي ﷺ، فقد نبه النبي ﷺ أصحابه من الخوض والانشغال بمثل هذه المسائل التي من شأنها أن تقود إلى التعسير بعد التيسير، وإلى التشديد بعد التخفيف، وإلى الوجوب بعد الندب، وإلى التحريم بعد الإباحة، قال رسول الله ﷺ: ((أعظمَ المسلمين في المسلمين جرمًا، من سأل عن شيءٍ لم يحرَّمْ على المسلمين، فحرّم عليهم من أجلِ مسألتِه))[1].

4- مخالفتها لنهج الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كانوا يكرهون السؤال فيما لا ينفع وفيما لم يقع، ويُحَذِّرون من الخوض في مسائل لم تقع أو ليس منها فائدة مرجوة تعود عليهم بالنفع والفائدة، فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: ((لا تسألوا عن أمر لم يكن، فإن الأمر إذا كان أعان الله عليه، وإذا تكلفتم ما لم تبلوا به وكلتم إليه))[2].

5- فيها اعتداء على أحكام الشريعة من خلال طرح المعضل المنهي عنه، أو من خلال الاستدلال الخاطئ والقياس الباطل. في مسند أحمد عن عبدالله بن سعد الصنابحي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الغُلُوطَات))، قال الأوزاعي: إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط[3].

6- لما تحمله بعض الأسئلة من استخفاف بأحكام الشريعة عن علمٍ أو عن جهلٍ من السائل، والشريعة جاءت لترفع من شأن العقل وتعليه، لا أن تقيِّده وتلغيه.

والأئمة والعلماء كانوا يعدون هذه المسائل نقصاً في حق السائل، كونه يعرض ضحالة عقله وفهمه على الناس، رُوي أن سليمان بن حرب دخل على المأمون في مجلسه فأراد ابن أبي دؤاد أن يسأله، فقال سليمان: يا أمير المؤمنين: حدثنا حماد بن زيد قال: قال رجل لابن شُبرمة: أَسْأَلُك ؟ قال: ((إن كانت مَسألتَك لا تُضحكُ الجليسَ ولا تُزري بالمسؤول فَسَلْ))[4].

1- متفق عليه: البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج6 رقم 6859 ص 2658. صحيح مسلم، رقم 2358 ص 1107.

2- الحنبلي، عبيد الله بن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ج1 رقم 317 ص 408 – 409.

3- المصدر السابق ص 401 هامش رقم 302.

4- المقدسي، عبدالله بن محمد ابن مفلح، الآداب الشرعية، ج2 ص 79.

ISSN : 2410-1818

إنَّ كل ما ذكر من السؤال المرفوض الذي نهت الشريعة عن الخوض فيه والانشغال به، لما ينتجه من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فضلًا عن مضيعته للوقت، ومفسدته للعقل؛ يخرج منه ما كان من قبيل الآتي:

1- كلُّ سؤال وضع من باب التعلم أو التعليم، أو اختبار أذهان التلاميذ من قبل أستاذهم ليشحذ فيهم قوة الفهم وحدة الذكاء وسرعة الاستنباط، وهكذا كان يفعل النبي ﷺ مع أصحابه[1].
2- أسئلة البحث العلمي التي تقود إلى إجابات عن الإشكالات والاستنتاجات.
3- الأسئلة التي يبوح بها المستفهمون لحكامهم أو لقياداتهم العلمية أو الحركية بحثاً عن الحق والحقيقة في المواقف التي تتطلب التوضيح والبيان، ومعرفة المآلات والنتائج في إطار الاسترشاد والاستشراف في الرؤى والمواقف.
4- أسئلة المجتمع والهوية الإسلامية.
5- أسئلة الدولة ومسار السقوط والنهوض الحضاري وفق تصور السنن الإلهية (كونية – اجتماعية).

وباستدعاء منطوق نص النهي عن السؤال في حركة الحياة على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الجماعات أو التكتلات؛ يكون هذا السلوك فعلًا معيقًا في مسار تحقيق الأهداف والتطلعات والغايات، وهذه لفتة إلهية ونبوية لبعد تربوي لازم للشخصية المسلمة الخارجة من دائرة الكل والفضول والسفسطة، ونقله إلى دائرة الفعل والعمل المفيد والحركة المستنيرة الراشدة من خلال الابتعاد عن السؤال المرفوض، والتحقق بالسؤال المفروض.

فالسؤال إذن مفتاح فاعل ومحرك مهم، أصيل وأساسي في تكوين العارفين وتحصين العاقلين في معترك الحياة، وهم يخوضون غمارها عبادة وعمارة، وورود النهي عن السؤال في العهد النبوي، عهد نزول الوحي، وهو التشريع المتسم بالتيسير، إنما جاء في حدود ضيقة لمحاربة أسئلة التعنت والتعسير، ومنع التشوش الذي ينتجه هذا النوع من الأسئلة المصادمة لقصد التنوير والتبصير المفيد، فهو استثناء محدود لا يحكم على الأصل بالإلغاء والإفناء، فالمسائل ذات الصعوبة والشدة مما هو من قبيل النوازل والمستجدات، أو تلك التي يتحصل منها فائدة مرجوة علميًا وعمليًا؛ لابد من حضور السؤال والعمل على النظر فيها، والخروج بإجابات نافعة عن منطوقها وفحواها.

1- من ذلك حديث عبدالله بن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله)) :((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُها وإِنَّها مَثَلُ المُسلِمِ فَحَدِّثُوني ما هِيَ؟)) فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوَادِي. قال عبدالله: وَوَقَعَ في نَفْسِي أَنَّها النَّخْلَةُ فاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ؟ يَا رَسُول الله، قَالَ: فَقَالَ: ((هِيَ النَّخْلَة))صحيح مسلم، رقم 2811 ص 1293.

ISSN : 2410-1818

الفصـــل الثالث: السؤال (التفـــاعـــل والاشتغـــال) وفيه مبحثان

لم يكن السؤال في التوجيه الإسلامي رياضة فكرية تقتصر على مساحة الذهن والتفكير المجرد السابح في فضاء التفاعل اللاهي والزاهي، دونما واقع يرتاض فيه الفعل والحركة والتطبيق لمقررات هذا التعقل والتساؤل، بل كان القصد تفاعلَ واشتغالَ المجرد مع المجرب، وهو ما عبر عنه علماؤنا في أن العلم لازم للعمل، والعمل ملزوم للعلم، وعبر عنه القرآن الكريم بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، فانحباس السؤال والمعارف في مربع الأذهان دون مساحة الأعيان أمر مذموم ومشؤوم في النص الإسلامي والتاريخ الإنساني كذلك.

وفي هذا الفصل المكون من مبحثين سيكون الحديث عن:

المبحـــث الأول: السؤال وقصد التفاعـــل

المبحث الثاني: السؤال وقصد الاشتغال

المبحـــث الأول: السؤال وقصد التفاعـــل وفيه مطلبان:

التفاعل حالة إرادية منبعها الاتجاه الداخلي في الإنسان، فهو مقدمة للعزم والنية والتوجه، وهذه التركيبة الإرادية من مشيئة الخلق الإلهي لهذا الكائن على هذا النمط، ولهذا في إطار الحديث عن السؤال وقصد التفاعل وهو الحالة الإرادية النابضة من القلب إلى العقل المحفز للسؤال، قال سبحانه وتعالى: { وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ}، قال الرازي: ((فإن قيل: هل يجوز أن يكون الغرض من بعثهم أن يتساءلوا ويتنازعوا؟ قلنا: لا يبعد ذلك؛ لأنهم إذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى أمور عجيبة وأحوال غريبة، وذلك الانكشاف أمر مطلوب لذاته))[1]، والتساؤل والتحاور كان مقصوده الوصول إلى معرفة حالهم، لحسن تدبير مآلهم، بدليل الآية { فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} ١٩.

المطلب الأول: سؤال الفكر والحركة

الفكر عبارة عن امتلاء العقل بمجموعة من المعارف والعلوم وتجارب التاريخ والحياة، عنها يصدر التفكير وبها يكون التدبير، فالمنطلقات الفكرية هي المحرك للأفعال، فما من حركة إلا ولها فكرة، فهي جدلية ذهنية ومعادلة رياضية، ومن يتأمل جوهر وحقيقة الإسلام يجده بما لا يدع مجالًا للشك أنه دين العلم والمعرفة، فمنذ أول وهلة له استهل بيانه بالأمر بالقراءة { ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١

[1] – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 – 1420هـ، ج21 ص 445.

ISSN : 2410-1818

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥}[1]، هذا الأمر فتح أبواب العلم والسعي نحو تحصيله، تلته آيات وأحاديث تحث المسلمين على طلب العلم باعتبار الإسلام دين العلم، والعلم والسؤال مرتبطان ببعضهما لا ينفكان عن بعض، فالسؤال مفتاح العلم، والعلم مفتاح السؤال، إذ العلم سيرورة لا تتوقف، وبحر لا ساحل له، وضمان هذه السيرورة هو حركة التفعيل في ميدان العلم الذي يفتح أمام أصحابه مجموعة من الأسئلة والتساؤلات العلمية التي تقتضي الإجابة عنها، هذه الإجابات هي التي يمكن أن تعبر عن حركة العلم والتطوير والنهوض الحضاري والعمراني عند الأمم.

وحراك السؤال المثار من قبل النُّظار والمفكرين من أقوى وسائل صناعة مشاريع التغيير الإنساني للبحث عن عوامل الإقناع، والبرهان الحق لشحذ قوى الذهن لأفضل المنجزات الفكرية والمادية، لهذا استعمل القرآن أسلوب السؤال في مواضع الإيمان الكبرى بإثارة الاستفهام عن حكمة الخلق وكنه الخالق، وإمكان البعث وحتمية المصير الأخروي، كما قام الأنبياء بالسؤال في موطن الحِجَاج مع أقوامهم[2]، وكل ما ورد في القرآن من أسئلة هي أمثلةٌ، القصد منها بيان أساليب اكتشاف الحق وانبعاثه بين الوجود، كأسئلة الخَمر، والميسر، واليتامى، والشهر الحرام، والأهلة، والساعة، والمحيض، والأنفال، وغيرها، وليست أسئلة تَرفيَّةً تجر إلى مواطن التلهي واللغو، فالعبثية ليست من الإسلام في شيئ { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) }[3]،

وغيرها من الآيات التي تؤسس لاستقامة واستواء الخطاب والمنطق والتفكير والتدبير، وحفظ هذه الاستقامة وذلك الاستواء الإنساني عن كل ما يجره إلى مربع الانحراف والحيد عن بوصلة التوجه القويم.

ويبقى الأصل المعرفي القرآني في الوصول للحقائق مرتكزاً على السؤال { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[4]، باعتبار السؤال مفتاح المعرفة، وباعتبار أهل العلم مصدر تحصيل المعرفة.

---

[1] – (سورة العلق: 1–5).

2– ومن ذلك قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام بشأن رده على سؤال قومه عمَّن حطم الأصنام{ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }(سورة الأنبياء: 63).

[3] – (سورة المؤمنون: 15 – 16).

4– (سورة الأنبياء: 7)، (سورة النحل: 43).

ISSN : 2410-1818

وقد تفرعت عن منهجية السؤال علم الجدل والمناظرة في العلوم المعرفية الإسلامية، والذي يجعل من السؤال ذا أهمية في صناعة الأفكار والرؤى، غير أن المتأمل في واقعنا الإسلامي منذ قرون من الزمان شهد غياباً وتهميشاً لثقافة السؤال والتساؤل المشكل حول القضايا المعرفية السائدة والبحوث العلمية، حتى تنبه الكتاب في مناهج البحث العلمي الأكاديمي المعاصر، واشترطوا في استهلال البحث كتابة الإشكال العلمي المتفرع عنه التساؤل المشكل، ليكون هدف البحث الإجابة عن هذه التساؤلات، وهو مسلك سديد في إحكام وانسجام الفكرة والنتائج.

إن حاجتنا إلى ثقافة السؤال تعني الثورة، وإشعال جذوة النور في الزوايا المظلمة، وعدم الاستجابة لراية الاستسلام للأجوبة الجاهزة.

ولقد شكّل سؤال النهضة في أواخر القرن التاسع عشر عن سبب التخلف والضعف والضمور الحضاري، وتأخر المسلمين وتقدم غيرهم، منعطفاً مهماً وتغييراً جوهرياً لدى عدد من مفكري العالم العربي والإسلامي، وبعثًا لروح المواجهة والتحدي والاستجابة العقلية لفكرٍ نهضويٍ يستلهم روح الإسلام وهداياته في استعادة مواقع الشهود الرسالي، وذلك من خلال تكسير قيود التقليد، وأغلال الجمود، وإصر الإلف والعادة المقعدة، وبناء العقل المسلم المنطلق من رسالة الوحي، المنفتح على علوم ومعارف العصر، المحلق في فضاءات قيامة التمكين والنهوض الحضاري.

المطلب الثاني: فقه السؤال

لا شك أن السؤال المقود للعلم والمعرفة مقصده العمل، إذ العلم بلا عمل مستنكر في منهج القرآن، فقد عاب على من يعلم ولا يعمل، مشبها إياهم بالحُمر التي تحمل الكتب والعلوم والنفائس ولا تدري بمدلولها فضلًا عن مقاصدها وأهدافها في التكليف والامتثال[1]، ومن هنا جاء لفت القرآن فيمن سأل عن الأهِلَّة والروح إلى إجابات تنعقد بعلمها قدرة الفعل والانفعال به، فيكون التساؤل مفيدًا للتفاعل والتمثُّل بعيدًا عن التشدُّق والتقعُّر المقعدين عن الفعل والفاعلية، وهذا ما يجعل للوقت قيمة في حياة الإنسان علمًا موصلًا بالعمل لا مفصولًا عنه.

كما أن التثاقل والتواكل والكلل في الحياة؛ سلوك يكرس العجز ويتصادم مع أوامر الشرع المنعقدة إيمانًا متبوعًا بالعمل الصالح، ففي عدد كبير من آيات القرآن الكريم، دعوة إلى الإيمان والقيام بالصلاة، الإيمان والعمل الصالح، الإيمان والإيتاء للزكاة، الإيمان والوفاء، الإيمان والانتهاء،

[1] – قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (الجمعة: 5).

ISSN : 2410-1818

الإيمان والاعتبار، الإيمان والاقتداء بالسنة الشريفة، وغيرها من التكاليف الآمرة للفعل سواء في الاعتقادات والعبادات والأخلاق والسلوكيات والوجدانيات.

ولمقصد الفاعلية والامتثال جاء التنبيه من أحد رواد البعث الإسلامي في أصوله التي نظمها من أجل سلامة الفاعلية واستقامة الامتثال في حركة الاستخلاف التعبدي العمراني، ونفي الكلل والسلبية والتثاقل والعجز والسكون المذموم فقال ((وكل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً))[1]، وهذا يفيد أن المسائل نوعان:

النـــــوع الأول: مسائـــل ينبني عليها عمـــل.
النوع الثاني: مسائـــل لا ينبني عليها عمـــل.
وكلمة (عمل) لها مدلولها في الواقع، ومدلولها في الشرع.

فأما مدلولها في الواقع: فإن العمل يفيد الحركة لا الجمود، والإيجابية لا السلبية، والتضحية لا الجبن، والقوة لا الضعف، والبذل والعطاء لا الأخذ والشح، وكل ما من شأنه أن يخرج من دائرة السكون إلى فضاء الحراك المفيد.

وأما مدلولها في الشرع: فإن العمل يحث على: التوكل لا التواكل، وعلى الخيرية لا الدونية، وعلى الأجر والثواب لا على الوزر والعقاب، وعلى الرفعة والعلو لا الانخفاض والدنو، ولذلك جاء الإسلام ليُرشِّد المسعى الإنساني في مجرى الحياة ومرسى النجاة تعانقاً وتوافقاً؛ ليكون حال الاستخلاف الإنساني على رشاد محمود وسداد ممدوح، تفادياً للمسعى الخائب الواهم العاجز.

إن فقه السؤال في المنظور الإسلامي نابعٌ من فهم حقيقة الوقت والحياة، فكلما استوعب المسلم أهمية وقته وحركته وحياته؛ كلما كانت سؤالاته وتساؤلاته منصبة وموجهة حول العلم النافع، والعمل الصالح، لكونه خليفة الله في الأرض عبادة وإعمارًا، ومقتضى العبادة والعمارة فقه السؤال، وفقه الحياة.

المبحـث الثـــــاني: السؤال في ميـــدان الاشتغـــال

لقيمة الوقت والزمن سواء من الناحية الشرعية أو من الناحية العملية، فقه علماء المسلمين أن الوقت هو الحياة، فحافظوا عليه، واستثمروا فيه بالإنتاج والإنجاز حد الإعجاز الذي أبهر الإنسانية من عطائهم العلمي في شتى فنون المعارف، فرأينا منهم من عمل في الوقت حتى لم يكد يكفيه فصارت مؤلفاته أكبر من سنين عمره، ومنهم من كان وقته تحت إمرته يطوعه كيف يشاء، فترى يومه كله

1 – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر – بيروت، رسالة التعاليم، ص 269.

ISSN : 2410-1818

ما بين أداء للعبادات، وتلاوة للقرآن، وترديد للأذكار، وتفقيه للناس، وتدريس لطلبة العلم، وخلوة للمطالعة، ومثابرة مع الابتكار والتصنيع، ومسامرة مع التأليف والتصنيف، وسهر مع الدعاء والقيام، ودراسة المسائل الفقهية التي يخرج من خلالها بفتاوى تخدم وتنفع الأمة، حتى أنك لا تدري متى يكون وقت نومه، أو وقت طعامه، أو وقت سلوته، أو وقت فراغه، وقد قيل إن ((العارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً))[1].

المطلب الأول: حرص السلف على كسب الوقت وملئه بالخير

نُقل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد: أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر بن عبد قيس: أمسك الشمس.[2] أمسك الشمس جملة تحيل على معانٍ كثيرة خلاصتها أن الوقت أنفس ما يملكه الإنسان، وأن الإنسان في سباق دائم مع الزمن يعظم فيه ومعه عمره القصير بطول أثره المعمول في الخير والنفع "فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها ".[3]

لقد اهتم العلماء بأوقاتهم فملؤها بكل خير، ومن أعظم الخير طلب العلم ومدارسته وتدوينه.

أولًا: طلب العلم

لشدة اهتمامهم بطلب العلم كانوا لا ينامون الليل حرصا على طلبه4، وقصص العلماء في كيفية الطلب والحكايات عنهم كثيرة، وما نراه ماثلا في المكتبات الإسلامية من تراثهم الضخم يبين مدى الجهد المبذول حتى كان هذا المحصول.

1 – ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 156.

[2] – السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ج2 ص 448.

[3] المصدر السابق، ج2 ص 448– 449.

[4] – المرجع السابق، ص 31.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: تدوين العلم

نقل عن ابن جرير الطبري (224 - 310 هـ = 839 - 923 م)[1] أنه جمع من العلوم وصنف مالم يشاركه فيها أحد من أهل عصره".[2]، ومحمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني (262 - 440 هـ = 973 - 1047 م)[3] فيلسوف رياضي مؤرخ، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. وصنف كتبًا كثيرة جدًا متقنة، قيل عنه:((كان البيروني من أعظم عظماء الإسلام، ومن أكابر علماء العالم)).[4] علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء (431 - 513 هـ = 1040 - 1119 م)[5] لابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم، من أشهرها وأكبرها كتاب (الفنون)، قال في مقدمته ((أما بعدُ فإنَّ خير ما قطع به الوقت، وشُغلت به النفس، فتقرَّب به إلى الرب جلَّت عظمته: طلب علمٍ أخرج من ظلمة الجهل إلى نور الشرع، وذلك الذي شغلتُ به نفسي، وقطعت به وقتي)).[6]، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج(508 - 597 هـ = 1114 - 1201 م)[7] قال عنه الذهبي: " كان رأسا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله"[8]، له مصنفات كثيرة، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله عز الدين بن الوزير اليمني (775 - 840 هـ = 1373 - 1436 م)[9] هو الإمام الكبير المجتهد المطلق، تبحر في جميع العلوم وفاق الأقران، كتب وأبحر وأبهر في التصنيف والتدوين، كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم)، من مفاخر أهل اليمن. والعديد من المصنفات التي تزخر بها المكتبة الإسلامية والأدبية.[10]

---

[1] – الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ج6 ص 96.

[2] – بتصرف انظر: سير أعلام النبلاء، ج14 ص 273 – 274. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، ج52 ص 192.

[3] – الأعلام للزركلي، ج5 ص 314.

[4] – انظر: قيمة الزمن عند العلماء، ص 49 – 50.

[5] – الأعلام للزركلي، ج4 ص 313.

[6] – سير أعلام النبلاء، ج19 ص 445. قيمة الزمن عند العلماء، ص 53 – 55.

[7] – الأعلام للزركلي، ج3 ص 316.

[8] – سير أعلام النبلاء، ج21 ص 367.

[9] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج5 ص 300.

[10] – بتصرف انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج2 ص 91 – 92.

ISSN : 2410-1818

مطلب الثاني: أهمية الوقت عند العلماء في الابتكار (نماذج مُشَرِّفَة)

لقد كان الوقت في نظر المسلمين الثروة التي لا غنىً عنها، والكنز الذي لا تفريط فيه، والحياة التي لا موت فيها، فرأينا علماء الإسلام يوظفون أوقاتهم فيما ينفعهم وينفع الأمة الإسلامية والإنسانية، إذ لم يكونوا يعتبرون العلم ما وثق في السطور والصدور؛ بل العلم النافع ما انتقل منهم وبهم من مرحلة التحصيل والتوثيق إلى مرحلة التحقيق والتصنيع.

وهنا نرصد مجموعة من النماذج الذين قدموا أعمالًا علمية ابتكارية في شتى العلوم والفنون الإنسانية والتطبيقية، فكانوا بحق منارات احتداء واهتداء في مسيرة التأسيس والبناء للعلوم والمعارف، والنهوض العلمي والعمراني للشعوب والأمم، فأنتجوا للإنسانية حضارة علمية وعملية أبهرت الدنيا، كانت ولا زالت لها الفضل بعد الله في نهضة الأمة قديماً، وتقدم الحضارة حديثاً، ومن هذه السلسلة العلمائية الابتكارية الذين تدين لهم البشرية بالفضل:

أ- جابر بن حيان الكوفي الأزدي (حوالي 721م – حوالي 815م (أو 803م)) (ت 200ه) عالمٌ مسلم، برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة وعلم المعادن، مؤسس الأسلوب التجريبي العلمي الذي أفاد منه علماء أوروبا فيما بعد والعالم أجمع. يعتبر واضع أسس الكيمياء العلمية، أول من اكتشف التقطير والتصعيد والتبلور والتذويب والتحويل. أول من بلور نظرية (الاتحاد الكيميائي) وأنه يتم باتصال ذرات العناصر المتفاعلة مع بعضها. له عدة مؤلفات، من أشهرها: (الاستمام) وقد ترجم إلى اللاتينية والفرنسية، وكتاب (أسرار الكيمياء والسموم ودفع مضارها).[1]

ب- أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي: عالمٌ مسلم، رياضي وفلكي وجغرافي ومؤرخ إسلامي (حوالي 780م – 850م أو 873م). مؤسس علم الجبر. أول من أدخل على الأعداد النظام العشري والصفر. له عدة إسهامات في الرياضيات والجغرافيا وعلم الفلك. له عدة مؤلفات، من أشهرها: (المختصر في حساب الجبر والمقابلة)[2]

ت- أبوبكر محمد بن زكريا الرازي: عالمٌ فارسيٌ مسلم، طبيب وجراح وكيميائي ورياضي وفلكي وفيلسوف (88م– 930م). من أهم وأشهر الأطباء المسلمين والعالم، وقد أطلق عليه الدارسون القدامى بـ (غالينوس العرب) وكذلك بـ (طبيب المسلمين) وأول من أجرى تجاربه للأدوية على الحيوانات وخاصة على القرود باعتبارها أقرب الحيوانات إلى الإنسان، وأول من استخدم مادة الأفيون كمخدر للعمليات الجراحية، وكذلك في معالجة أمراض الجهاز التنفسي. وأول من أدخل المستحضرات الكيميائية في المعالجة الدوائية ففتح بذلك باب الصيدلة الكيميائية. من ابتكاراته

1- الجيوسي، الدكتور مصطفى، موسوعة علماء العرب والمسلمين،، ص 110 – 112. الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، ص 151 – 152.

2- موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 128 – 129. جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، ص 184 – 185.

ISSN : 2410-1818

أيضاً (خيوط القصاب التي صنعها من أمعاء القط واستعملها كفتيلة للجرح، تركيب مراهم الزئبق، معالجة السل بالتغذية بالحليب المحلى بالسكر، الكتابة عن طب الأطفال، التمييز بين الحصبة والجدري). له عدة مؤلفات، من أهمها وأشهرها: (الحاوي).[1]

ث- أبو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس: عالمٌ أندلسيٌ مسلمٌ، طبيب وكيميائي وفلكي ومخترع (194ه – 274ه) (ت 884م). من أوائل العلماء الذين اعتمدوا المنهجية التجريبية في العلوم (منهجية البحث العلمي)، ولقب بـ (حكيم الأندلس). كان صاحب أول خطوة للإنسان في عالم الطيران، وذلك باستخدام جناحين صممهما. له عدة اختراعات من أشهرها صناعته لأول ساعة مائية عرفت باسم (الميقاتة). استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة، وسهل بعمله هذا على الأندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن سهلة المتناول، فانتشرت بعده صناعة الزجاج في ديار الأندلس وتفوقوا بها.[2]

ج- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: عالمٌ فارسي مسلمٌ، لقب ببطليموس العرب (973م – 1048م)، عاش في العصر العباسي وكان يتكلم بعدة لغات ولهجات. يعد كأبي الهيثم ممن كان له الفضل في إرساء المنهجية التجريبية في العلوم (منهجية البحث العلمي).أول من قال إن الأرض تدور حول محورها، وكان ملهماً للعديد من العلماء الغرب كنيوتن وأينشتاين. كانت له إسهامات في حساب المثلثات والدائرة وخطوط الطول والعرض. له عدة مؤلفات، من أشهرها: (القانون المسعودي في الحياة والنجوم) [3]

ح- أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم: عالمٌ عربي مسلم، فيزيائي وعالم بصريات ورياضي وطبيب (965م – 1040م)، ولد في البصرة وعاش في القاهرة. مؤسس علم البصريات القائم على منهجية البحث العلمي الحديثة. أول من اكتشف قوانين انكسار الضوء. أول من أجرى التجارب العملية على تحلل الضوء إلى ألوانه المعروفة بألوان الطيف (الأحمر والأصفر والأزرق والألوان الانتقالية بينها). له عدة مؤلفات، من أهمها وأشهرها: كتاب (المناظر)[4]

خ- أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (ابن النفيس): طبيبٌ وعالمٌ عربيٌ مسلم (607ه – 687ه) (1213م – 1288م). يلقب بـ (رئيس الأطباء) أو بـ (ابن سيناء الثاني)، وتعتبر طريقته العلمية أنموذجاً فريداً للمنهج العلمي التجريبي الذي أسسه المسلمون في حضارتهم العلمية. أول من قال بجريان الدم في اتجاه واحد، وأنه يتحد مع الأكسجين، وأول من قال بوجود الأوعية الشعرية

1- موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 133 – 135.

2- موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 249 – 252.

3- موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 100 – 103. جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة، ص 112.

4- موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 58 – 60.

ISSN : 2410-1818

الدموية الدقيقة، وتحدث أيضاً عن الدورة الدموية الصغرى (بين القلب والرئة) من أشهر أطباء عصره، له عدة مؤلفات، من أشهرها: (الشامل في الصناعة الطبية)[1]

د- أبو العز، إسماعيل بن الرزاز بديع الزمان الجزيري: عالمٌ عربيٌ مسلم، مهندس ومخترع (ازدهر اسمه حوالي عام 1205م) (ت 602ه).يعتبر من أهم المهندسين والمخترعين والميكانيكيين. له عدة مؤلفات، من أهمها وأشهرها: (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل).

ذ- الإمام الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي: عالم عربي مسلم، أحد أئمة المذاهب الأربعة، ومؤسس تدوين علم أصول الفقه (150هـ - 204هـ = 767م – 820م)[2]. الرسالة في علم أصول الفقه. الأم في الفقه عبقرية تستحق أن تضاف إلى سجلات عباقرة التاريخ الإسلامي.

ر- أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تيم الفراهيدي اليحمديُّ الأزدي[3]، عالم عربي مسلم عبقري أسطورة العربية في علم اللغة والنحو، أول مبتكر للتأليف المعجمي وأول من من بحر بحور الشعر، وأول من وضع أسس النحو العربي، وهو مخترع علم الموسيقى المعرفية التي جمع فيها أصناف النظم، كما وضع تشكيل الحروف العربية وقد كانت من قبله لا تشكيل واضح لها، وقد بلغ الذروة في المنجزات العلمية[4]، (100هـ - 160، أو 170، أو 175هـ) [5].**من أهم مصنفاته** كتاب العين في اللغة.

ز- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، عالمٌ أندلسيٌ[6] مسلم، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة (732 هـ - 808 هـ = 1332 - 1406 م).[7] وقد اعتبر الباحثون[8] أن فكر ابن خلدون تميز بهم الاجتماع الإنساني من حيث: معاول

---

[1]– جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، ص 85 – 86. فارس، الدكتور محمد، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ص 55 – 56.

[2] – انظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، ح2 ص 55. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير اعلام النبلاء، ج10 ص5. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ج6 ص26.

[3]– الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ج1ص 21.

[4]– الدندراوي، أحمد عبدالمجيد، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي– الأسطورة، شعره وجهوده في خدمة العربية، ص5.

[5]– بن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2 ص 248.

[6] – هناك من يقول إن ابن خلدون عالم عربي، والبعض يدعي أنه بربري؛ إلا أن كتاب التراجم يثبتون أنه عالم أصله من إشبيلية (الأندلس) وكان مولده في تونس. انظر: الأعلام للزركلي، ج3 ص330.

[7] – الأعلام للزركلي، ج3 ص330.

[8] – هناك مئات الرسائل العلمية التي درست ابن خلدون وفكره.

ISSN : 2410-1818

السقوط وعوامل والنهوض الحضاري، بالنسبة لحركة التاريخ، والمرجعية الإسلامية، وحدود العقل البشري، جدلية ثلاثية أنتجت لديه قوانين علم الاجتماع. وهو بهذا أصبح مؤسس علم الاجتماع. **من أهم مصنفاته** مقدمة ابن خلدون.

وهذا الاصطفاء لهذه الكوكبة العلمية قامت على مجموعة من المعايير:

1- أسبقية التأسيس المعرفي العلمي.
2- أسبقية الابتكار التطبيقي للنظريات والآلات والصناعات.
3- الشهادة المطلقة بالإمامة العلمية والعبقرية المتميزة.
4- الاكتفاء بنماذج تتناسب وحجم الدراسة من قائمة طويلة لعلماء عرب ومسلمين كان لهم الدور الريادي في شتى الفنون وحركة الاجتماع.

الفصل الرابع: السؤال (المجال والاستشراف)

جاءت الرسالة الإسلامية في محدداتها الإرشادية، ومنطلقاتها التوجيهية، للإنسان الخليفة في الأرض حتى يكون راشدًا في استخلافه؛ داعيةً إلى الأخذ بمجالات قيام الحضارة الإسلامية، وحمايتها ورعايتها واستشراف مستقبلها، والعمل على نمائها ونهوضها وتبوء الصدارة بين حضارات الإنسانية كلها.

وفي هذا الفصل المكون من مبحثين سيكون الحديث عن:

المبحث الأول: مجالات قيام الحضارة الإسلامية

المبحث الثاني: سؤال المعضلات وعلم الاستشراف

المبحث الأول: مجالات قيام الحضارة الإسلامية

إن أي حضارة من الحضارات على مر التاريخ تقوم على مجموعة من المبادئ العليا، والكليات الكبرى، باعتبارها مجالات تتسم بها دون غيرها، ولا يمكن الاستغناء عنها، مهما حاولت بعض النهضات المادية أن تنكر أو تتنكر لتلك المجالات، فالدين والقيم، والعلم والعمل، مجالات أساسية وملازمة لقيام الحضارات الإنسانية، وبالخصوص الحضارة الإسلامية، التي أولت جانب الدين والقيم، والعلم والعمل، اهتمامًا بالغًا، فجعلت من هذه المجالات تكاليف ملزمة للأمة، لا غنى عن الالتزام بها، والسعي إلى تحصيلها على مستوى الفرد والجماعة والأمة.

ISSN : 2410-1818

المطلب الأول: الدين والقيم

من يمعن النظر في النهضة الحضارية التي قام بها المسلمون، يجد بما لا يدع مجالاً للشك أن أهم مقومات هذه الحضارة التي أبهرت الدنيا، وعلمت العالم حتى اليوم هي الدين والقيم.

يعتبر الدين أهم مقومات الحضارة الإسلامية ومجالات قيامها، ويمكن تعريف الدين بأنه: منظومة إلهية من المعتقدات والسلوكيات الموجهة للإنسان في علاقته مع الخالق والوجود.

كما يمكن تعريف القيم بأنها: مجموعة من المبادئ والسلوكيات الدينية والفطرية التي يتسم بها الفرد والمجتمع.

فالدين القيم رافعة أساسية من روافع قيام الأمم والحضارات، ومن يتأمل حال العرب قبل بزوغ نور الإسلام يجدهم قبائل متفرقة تائهة في كافة المجالات، إذ كانت حالتهم مثالاً للهمجية والتخلف والجهل والضلال، فقد سادت في حياة العرب الخرافات والضلالات وسوء القيم والأخلاق.

ففي الحالة الدينية: رغم أن العرب كانوا يؤمنون بالله إلا أنهم اتخذوا لهم مع الله شركاء يعبدونهم ويتقربون إليهم زاعمين أنها تقربهم إلى الله، قال الله تعالى على لسانهم:{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[1] ومع مرور الزمن وتوالي الأجيال أصبحوا يعتقدون في الأصنام[2] النفع والضر، فبدلاً من كونها تقربهم إلى الله، صاروا يعبدونها مع الله بل يعبدونها من دون الله، ويمكن القول: أن الأمة العربية ابتليت بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها أدى بها إلى انحرافات خلقية واجتماعية وفوضى سياسية وتشريعية، ومن ثم قل شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد واتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيغ والانحراف والضلال ومن ثم عبدوا الأصنام، فكان لكل قبيلة صنم.[3] والعرب وإن كان طابعهم الوثني والخرافي هو السائد فيهم قبل الإسلام إلا

---

[1]- (سورة الزمر: 3).

[2]- الصنم لغة: واحد الأصنام وهو الوثن، والفرق بين الصنم والوثن: قال بعضهم أن الصنم معمول من الخشب أو الذهب والفضة أو غيرها من جواهر الأرض. وأما الوثن: فقيل هو المعمول من الحجارة. انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، ج1 ص 398. أبو الفيض، محمّد بن محمّد الزَّبيدي، تاج العروس ج32 ص 524. ابن منظور، لسان العرب، ج12 ص 349. الصنم اصطلاحاً: هو كل ما اتخذ إلهاً من دون الله. انظر: لسان العرب، ج12 ص 349.

[3]- الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (الشاملة)، ج1 ص 27.

ISSN : 2410-1818

أنه كان من العرب من يرفض هذه الحالة[1]، ويسعى جاهداً لتغييرها، إما لكونه ظل متمسكاً بالحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، أو لاعتناقه المسيحية، أو اليهودية؛ غير أن هذه القلة القليلة من الرافضين لحالة العرب الدينية لم يكونوا قادرين على إحداث التغيير، ومع مرور الزمن ازدادت الوثنية اتساعاً بحكم الحاضنة المجتمعية لهذه الوثنية، وانحسرت الخيرية المتمثلة في الأديان السماوية بحكم موت بعض أولئك الأفراد الصالحين، أو عدم القدرة الفردية على مواجهة الحاضنة الاجتماعية[2].

وقد مثلت هذه الحالة الظلامية من الوثنية في حياة العرب الدينية حالة من الفوضى في المبادئ والقيم في شتى المجالات، كون الدين يعد أهم المؤثرات في حياة الإنسان والمجتمعات، لذلك انعكس هذا الفساد الديني على بقية المستويات، فنجد العرب قبل الإسلام في حالتهم السياسية: يتعايشون تحت ظل الحكم القبلي كونهم كانوا قبائل متعددة ومتفرقة، وبالرغم من بعض القيم والمبادئ التي كانوا يتحلون بها ويتفاخرون فيها كالأنفة والحرية وغيرهما؛ إلا أنه وفي ظل غياب الدين القويم الذي يعدل من سلوكيات الإنسان، ويوجهه لفطرته السليمة، فقد كان العربي منصهراً في قبيلته، مرهوناً بقرارها السياسي يخضع لها ويدين بها، ويتوجه معها حيث سارت دون أن يسأل لماذا ؟ وكيف؟ فيَغِير معها على من تغير، ويقاتل من تقاتل، ويعادي من تعادي، رافعين شعار ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) سواء كانت هذه النصرة لحق أو لباطل، فالأهم هو نصرة القبيلة وليس نصرة الحق، وفي هذه العصبية الجاهلية يقول قائلهم:

وهل أنا إلا من غزية، إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد[3]

فحين لم يجد العربي ديناً يعبد ربه من خلاله؛ بحث له عن حجارة يتوجه إليها تغطي نقصه المظهري في العبادة، وخضع ودان لقبيلته كي يغطي بها ومن خلالها نقصه الفطري في الاعتقاد، ولما جاء الإسلام، ودان له العربي؛ حصل التحول الجذري في نظام الحياة العربية، فوحد العرب المتفرقين والمنقسمين والمتقاتلين، وجعل لهم مُثُلاً عليا يعملون لأجلها، ويضحون في سبيلها، كوحدة العبادة والتوجه، ووحدة المشاعر والآمال، ووحدة الغايات والأهداف، التي كانت من أهم أهداف ومميزات الدين الذي غرسه الدين في نفوس وحياة أتباعه.

---

[1]- أمثال: قس بن ساعدة الإيادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وغيرهم. انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج1 ص 204.

[2]- ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج1 ص 73.

[3]- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ج1 ص 30. المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ج1 ص 26.

ISSN : 2410-1818

وهذه الحالة لا تقتصر على الجنس العربي فقط؛ وإنما هي حالة تنطبق على الجنس الإنساني والنوع الآدمي بشكل عام، وذكر الحالة العربية هنا على سبيل المثال الذي يتوضح به الحال والمقال، وفي هذا يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي – رحمه الله – " ففي ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها، والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني قانونًا خاصًا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحِّد إلى أحط الوثنيات البدائية، حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الأبد "[1].

كما تأتي القيم والأخلاق كأهم المقومات والمجالات الحضارية التي تميز بها المسلمون عن غيرهم؛ لكونها كانت المؤثر القوي في دعوة الآخرين، وفي فتح البلدان وانتشار الدين الإسلامي واقتناع الناس والشعوب المظلومة والمضطهدة به، وذلك بعد ما شاهدته ولمسته من الذين حكموهم بمبدأ القوة والظلم.

إن القيم الإسلامية جاءت كقواعد مجذرة ومؤسسة لحقوق الإنسان والحيوان، لتجعل منه إنسانًا حرًا حضاريًا، راقيًا في كيانه ووجدانه، في حريته وممتلكاته، في دينه ومعتقداته، وفي صلاته وعلاقاته، وبهذا يكون الإسلام بما رسخ من قيم ومبادئ في نفوس أتباعه قولًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا، شعورًا وممارسةً؛ قد سبق الأمم المتحدة وميثاق حقوق الإنسان العالمي التي تتفاخر به المنظومة الدولية المعاصرة، باعتبار الميثاق أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث، والذي رغم قيمته النصية الشكلية، لا يعدو أن يكون حبرًا على ورق، ومفصلًا على مقاس الدول المهيمنة على صنع القرار.

المطلب الثاني: العلم والعمل

إضافةً إلى الدين والقيم والأخلاق التي عملت على توحيد الشتات، ورص الصف، وجمع الكلمة، وتوحيد الغاية والهدف، وتوسيع الرقعة، وفتح القلوب قبل فتح البلدان؛ كان لابد من وجود العلم المقرون بالعمل كمقوم حضاري يعمل على بقاء حضارة الإسلام وتقدمها من خلال العلم الذي يعمل على تنمية العقول، وتوسيع المدارك، ومحاربة الجهل والحد من تفشيه، والاستفادة من كل قديم نافع، والاستزادة من كل جديد صالح، فكان العمل محط اختبار فاعلية العلم وفائدته، كمقوم رافع يفيد الأمة ويعمل على إعلائها وتقدمها وتفوقها حضارياً في كافة الجوانب الحياتية والنهضوية، ولن يكون العلم كذلك إلا إذا كان مقترناً بالعمل، وكذلك فَعَل الدين مع العلم والعمل كما فَعَل مع

[1] – مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 300.

ISSN : 2410-1818

الأخلاق، فجعل من العلم والعمل ديناً قبل أن يكونا طموحاً مهمًا يعزز دافعية الإقبال عليهما؛ فالأمة الجاهلة لا تتقدم، والأمة الخاملة لا تتحضر، ومن كان الجهل لباسه، والبطالة معاشه، غدا تابعاً لا متبوعاً، ومسوداً لا سائداً، ومتسولاً لا منتجاً، وأي أمة من الأمم كان الجهل والبطالة حالها، أصبح هذا مآلها، يقول غوستاف لوبون[1] بعد أن ذكر أسباب عظمة العرب وتفوقهم الحضاري.

والمتأمل في حال الأمة الإسلامية حين كانت تقدس العلم والعمل، يجد أنه خرج من أبنائها أمثال أولئك الجهابذة الذين ملأوا الدنيا علماً وعملاً، فجعلوا من أمة الإسلام أمة العلم والتقدم الحضاري، والتي كانت بدورها مصدراً للعلم والعمل والرقي الإنساني في نظر غيرها من الأمم، وما ذلك إلا لفهم أبنائها حقيقة هذا الدين الذي يدعو لاستغلال الوقت بكل ما هو نافع من علم وعمل، فلا انفصام في الإسلام بين العلم والعمل؛ بل هما عبادتان متكاملتان متلازمتان، قال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}[2].

إن سؤال المجال اليوم يستدعي من الباحثين والدارسين، ومؤسسات ومراكز البحث العلمي؛ الدراسة والإجابة عن أهم سؤالات مجالات ومقومات النهوض الحضاري، التي تعد أهم روافع قيام أي حضارة من الحضارات الإنسانية، وعلى وجه التحديد الحضارة الإسلامية، فالدين والقيم، والعلم والعمل، مجالات تتسم بها الحضارة الإسلامية، وإن أي نهوض حضاري للأمة فإنه بحاجة للإجابة على سؤال هذه المجالات، والوقوف عليها تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف الرشيد.

المبحـــث الثـــاني: سؤال علم الاستشراف

يهتم هذا المبحث بعرض السؤال على مفهوم علم الاستشراف وموقعه منه، وفق ضابط منظور الشريعة وحدود العقل، كما مر ذكره في الفصل الثاني، والذي تشكل مبحثه الأول (العقل الموقع وحدود التشغيل) من: (العقل وعلوم الغيب) و (العقل وضوابط الفطرة في الرسالة الإسلامية)، لبيان أهمية التكامل بين النقل والعقل، بحيث يسرح العقل في منظور الوجود في عالم الأفكار والأشياء والأشخاص من قيود وحدود النقل، فتكون خطاه وازنة في المشروعية والموضوعية والمآلية.

1 – مستشرق فرنسي وهو من أشهر فلاسفة الغرب (7 مايو 1841م – 13 ديسمبر 1931م)، من أشهر مؤلفاته: (حضارة العرب وحضارة الهند) (الحضارة المصرية) (حضارة العرب في الأندلس) (سر تقد الأمم) (روح الاجتماع).

2– (سورة الصف: 2 – 3).

ISSN : 2410-1818

وهنا سيتركز النقاش في هذا المبحث حول عضل السؤال الذي يعني: الضرر المترتب على السؤال باعتباره محل إحراج للمساءَل – من يوجه إليه السؤال – من قبيل الإحراج أو الاستهتار، وعريه عن الفائدة المرجوة من طرحه ومناقشته، وكذلك أثر علم الاستشراف من السؤال والتساؤل المشروع.

المطلب الأول: علم الاستشراف (الماهية والأهمية)

أولًا: ماهية علم الاستشراف

الاستشراف علم من العلوم المعاصرة الذي يهتم بتداول الأسئلة والاستفسارات حول القضايا في مآلاتها وأحوالها المستقبلية.

الاستشراف لغة: أصل الاستشراف في لغة العرب: من الشرف، وهو العلوُّ، وأَشْرَفْتُ عليه: اطَّلَعْتُ عليه من فوق، واستشراف العين والأذن من الأضحية: التأمل في سلامتها من آفةٍ تكون بها. والاستشراف: التحقق والتطلع. ومنه حديث أَبي طلحة رضي اللّه عنه: أَنه كان حسَنَ الرمْي فكان إذا رمى اسْتَشْرَفَه النبي صلى اللّه عليه وسلم لينظر إلى مَواقِعِ نَبْله،[1] أَي: يُحَقِّقُ نظره ويَطَّلِعُ عليه.
إذًا الاستشراف لغة: علوٌّ، وتأملٌ، وتطلعٌ، واطلاعٌ، وتحققٌ.

الاستشراف اصطلاحًا: يُعرَّف علم الاستشراف في الاصطلاح أنه: ((عملية منهجية تشاركية تقوم على جمع المعلومات المستقبلية، ووضع رؤىً متوسطةً وطويلة الأجل تهدف إلى اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ في الوقت الحاضر))، ويُعرَّف كذلك بأنه: ((القدرة على النظر في تطورات المستقبل واحتياجاته، والقدرة على إدراك الأبعاد المستقبلية))[2].

وفي الفكر الإسلامي يعتبر الاستشراف: ((محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صور الحاضر وتحليلها، والتعرف على مجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي وملاحظة سنن الكون، انطلاقًا إلى استشراف المستقبل وتشوفه وصولًا إلى طرح الرؤية))[3].

---

[1] – انظر: صحيح البخاري، ج3 رقم 2746 ص 1063، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتُرْسٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى تَشَرَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ)).

[2] – الهنداوي، أحمد ذوقان، الحموري، صالح سليم، المعيطة، رولا نايف، استشراف المستقبل وصناعته ما قبل التخطيط الاستراتيجي استعداد ذكي، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع – دبي، ط1 – 2017م، ص23 و24.

[3] – الدجاني، أحمد صدقي، دراسة المستقبل برؤية مؤمنة وسليمة، مجلة المسلم المعاصر، عدد 62، ص276.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: أهمية علم الاستشراف

يتبين من خلال التعاريف السابقة أن علم الاستشراف ليس من قبيل العلم بالغيبيات، أو التطلع إلى معرفته، ولا حتى من قبيل الاستعانة بالكهانة والشعوذات؛ وإنما هو علم يهتم بدراسة مقدمات أحداث الماضي والحاضر، للوصول بهذه الدراسة إلى تقريب أحوالها المستقبلية، وتقدير مآلاتها المصلحية، ولهذا يروج اليوم في بنية المؤسسات والدول مراكز أبحاث تهتم بما يسمى علم المستقبليات، علم الاستشراف، علم التخطيط، قواعد المآلات، وكلها تهدف إلى دراسة الأحداث الماضية والحاضرة لرسم صورة مستقبلية مأمونة المخاطر، مضمونة السلامة من المعوقات والمحاذر، يقول الدكتور محمد عمارة رحمه الله: ((الاهتمام بالمستقبل خاصية من خواص الإنسان!.. سلك إليه كل السبل التي أتاحتها له علوم الدنيا وعلوم الدين، بل إن اهتمام الإنسان بالمستقبل قد سبق عصر العلم وطور تبلور العلوم، وكان من أهم الدوافع لبلورة العلوم والعلوم المستقبلية على وجه الخصوص. ففي طفولة الإنسانية وجاهليتها كان السحر والتنجيم سبيلين سلكهما الإنسان لاستكشاف مستقبله، وللتنبؤ بما يخبئه له المستقبل، فلما غادرت الإنسانية طور الطفولة، وشبت عن طوق الجاهلية؛ امتلكت سلاح الفكر المنظم، والعلوم المؤسسة على الحقائق، فأصبح التنبؤ بالمستقبل علمًا يبدأ بالتخطيط، بل وأصبح بإمكان الإنسان أن يؤثر في صورة المستقبل تأثيرًا كبيرًا، بل لعلنا إذا تأملنا اهتمام الإنسان منذ القدم بالتاريخ وجدناه منصبًا على الاهتمام بالمستقبل الإنساني أكثر منه اهتمامًا بماضي الإنسان))[1]، ويقول الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله: ((يدخل في فروض الكفاية اليوم ما يسمى علوم المستقبل، وهي التي تستشرف آفاق المستقبل في ضوء إمكانات الحاضر الظاهرة والمخبوءة والمكنونة في طاقات الأمة، وعلاقتها بما حولها ومن حولها، وما تنبئ عنه الدراسات العلمية التي تعطي ترجيحات لما يتوقع على سبيل الظن لا القطع واليقين، وهذا يكفي للتخطيط للمستقبل على هذا الأساس العلمي المقدور عليه، ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا بمعزل عن هذه العلوم التي تتقدم وتتطور يومًا بعد يوم وتخدمها عقول كبيرة ومؤسسات ضخمة في أنحاء العالم، ولا ينبغي اعتبار ذلك من باب التنبؤ بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله، لأن هذا في الغيب المطلق، أما الغيوب النسبية التي جعل الله للبشر سبيلًا إلى استشفافها وإدراكها بوسائل معينة في دائرة السنن الإلهية، فليست في نطاق المحظور شرعًا...))[2].

وبما أن الاستشراف علمٌ لا علاقة له بالتنجيم، وإنما بالتخطيط، ودراسة أحوال الماضي والحاضر ومآلات المستقبل، وكل هذا من قبيل التنظيم في الهدي الإسلامي، المؤيد والمعزز بتجارب الخبرة والمعرفة الإنسانية، وهو ما ينعكس على أهمية هذا العلم المبني على أسس وضوابط إدارة

[1] – محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، دار الرشاد – القاهرة، ط1 – 1997م، ص7.

[2] – القرضاوي، يوسف، تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة، ص 240 – 241.

ISSN : 2410-1818

الأسباب والمسببات، وإتقان وإحكام المقدمات، وقديمًا قال أهل المنطق: " النتيجة تتبع أخس المقدمات "[1] وهو ما يعني أن أفضل المقدمات سبيل إلى أفضل النتائج، وأخس المقدمات أخس النتائج. فحينما تكون الأفعال الإنسانية العمرانية والحضارية قائمة على الارتجال والعشوائية، والظنون الوهمية؛ فإن نتائجها تكون بحسب مقدماتها الهشة، وهذا ما عناه أهل المنطق.

من هنا ندرك أهمية علم الاستشراف على سلامة البنى والخطى، وعلى رشد الأقوال والأفعال، وعلى استقامة الأفراد والمجتمعات، وعلى متانة البنيان والعمران، وعلى نهوض وتحضر الشعوب والدول.

المطلب الثاني: علم الاستشراف (الموقع والآفاق)

يتموقع علم الاستشراف في مساق توجيهات الوحي الإلهي وإرشادات الهدي النبوي الشريف، إذ يلفتان النظر إلى تدبر المستقبل وأخذه بعين الاعتبار من خلال مدلول بعض الآيات الحاثة على مسلك النظر المستقبلي، كقوله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[2]، وقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ }[3]، فالنظر فيما يقدمه الإنسان لغده كما بينته الآية، هو مثال حالة التقوى الملازمة للمسلم في وقته وحاضره، والتي تستلزم منه النظر في خاتمته، فيعمل لغده كما يعمل ليومه، والمسلم كما هو مطالب بالنظر لغده؛ مطلوب منه الإعداد والاستعداد والجاهزية في مواجهة الأعداء، وهذا الإعداد يكون في كل ما تعنيه كلمة القوة التي وردت منكرة، والنكرة تفيد العموم والشيوع في أفراد جنس القوة.

والنظر لغد الإنسان، والإعداد للقوة في كل مجالات الحياة؛ يتطلب التخطيط، الذي يعني: الارتكاز على الماضي، للتفكير والتقدير في الحاضر والمستقبل عبر الإعداد لآليات ووسائل تتسق مع غاية الاستخلاف الرشيد في تحقيق فروض العبادة والعمران، فتستدرك الماضي، وتستثمر المستقبل.

---

[1] – انظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج1 ص 212.

[2] – (سورة الحشر: 18).

[3] – (سورة الأنفال: 60).

ISSN : 2410-1818

وملحظ الوحي القرآني والهدي النبوي إلى أهمية دور الاستشراف في الإرادة والإدارة والانطلاق والقيادة الناجحة، يتجلى في الآتي:

أولًا: الاستشراف في القرآن الكريم

أ- تأتي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر مثالًا واقعيًا يلفت النظر إلى دور علم الاستشراف والمستقبليات في اتخاذ المواقف والقرارات التي تجنب الأفراد والمجتمع الضرر المتوقع[1]. اتخذ الخضر موقف الخرق للسفينة بناء على استشراف حال الملك الظالم الذي لا يترك شيئًا جميلًا من حقوق وأملاك الناس إلا وسطا عليه، فالخرق بالنسبة إلى الخضر عامل حماية وحفظ لحقوق وأملاك الناس، بناءً على علمه الاستشرافي من مآل هذه السفينة إن تركت وحالها بلا خرق!! فحين غاب عن موسى علم حال الملك الظالم، والمجتمع المستضعف، ومآل السفينة في ظل هذا الحال؛ استنكر فعل الخضر، فلما كشف له الحال والمآل؛ أقر الخضر على فعله، بل واعتذر إليه عن تعجله استنكار فعله بسبب النسيان، وخفاء حيثيات الحدث عنه، فقال: {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}[2]، وهكذا تواصل الاستكشاف في ذات الرحلة الاستكشافية.

ب- يقدم نبي الله يوسف عليه السلام أنموذجًا عمليًا في فن الإدارة عبر علم الاستشراف، قال سبحانه وتعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)}[3].

وبهذا التفصيل الذي نقله الوحي القرآني لنا يضع يوسف عليه السلام خطة استشرافية واضحة المعالم والخُطا، عملت على دراسة الحاضر، ورسم خطة إنقاذ وتأمين المستقبل، فكان نجاح الخطة التي بسطت الرفاه على شعب مصر، وجعلته مهوى أفئدة الأمصار، وكانت رافعة ليوسف عليه السلام ليتبوأ موقع الحكم.

ت- قص علينا القرآن الكريم قصة ملكة قوم سبأ، التي امتازت بالحكمة والحنكة في التعامل مع خطاب سليمان عليه السلام، وحوارها مع قومها الأشداء حول كيفية الرد ووسائل المواجهة[4].

---

[1] - (سورة الكهف: 60 – 82).

[2] - (سورة الكهف: 73).

[3] - (سورة يوسف: 46 – 49).

[4] - (سورة النمل: 20 – 35).

ISSN : 2410-1818

من خلال هذه القصة نجد بلقيس ملكة سبأ تحاور قومها، وتنظر في قدرات وإمكانات مملكتها، الذين ألمحوا لها قوتهم وشدة بأسهم في المواجهة؛ إلا إنها لم تنجر وراء نشوة القوة التي تتمتع بها مملكة سبأ، فقررت اتخاذ وسائل استشرافية تدرس من خلالها الموقف المناسب للحدث ومع الشخص[1]، هو تعبير أصيل عن مدى قدرتها على التخطيط والاستشراف لمآلات الأحداث والوقائع، فكان لها من دقة تخطيطها، وروعة استشرافها، ما قادها إلى سلامة قومها ومملكتها، وحسن رأيها وإسلامها.

ثانياً: الاستشراف في الهدي النبوي

أ- حدث الهجرة إلى (يثرب) التي سُمِّيت بعد ذلك بالمدينة؛ لتكون منطلق بناء الدولة، وأول عاصمة لها، ففي قمة الاضطهاد والظلم الذي عانى منه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في مكة، وأمام تلك الشدة وذلك القهر؛ يستشرف النبي صلى الله عليه وسلم الموطن المناسب، والحاضنة الآمنة للإسلام والمسلمين، والتي تحددت وجهتها عنده بما كانت تسمى يثرب، فمن فوره عمل على تحقيق هذا الاستشراف عبر خطة استراتيجية محكمة الإعداد والتنفيذ.

ب- حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ))[2]، حديث يرسم سلوك المؤمن القويم في إدارة أحداث الحياة، فيُرْشده لأن يكون ذا عقلية يقظة، وضمير حي، وشعور حذرٍ في تعامله مع الأحداث، فلا يُستغفل ولا يُستهبل، فيقظة العقل إذ إن الاستغفال والاستهبال صفات لا تليق بمؤمن رباه الإسلام على قيم الإباء والعزة والقوة، بل هي علامة على الضعف والخنوع والارتهان للغير، والمؤمن الذي يتبوأ مكانة قيادية أجاز له الشرع أن يخطئ مرة تسايرا مع الضعف البشري وتسالما مع النقص الحاصل منهم، لكنه جرَّم عليه تكرار ذات الخطأ، فالخطأ الأول يمثل التجربة، والخطأ الثاني يمثل الغفلة، والمؤمن ليس بغافل.

ت- حادثة صلح الحديبية التي هي مثال على الاستشراف الذي كان له الدور الأهم والتحول المفصلي في تحقيق الأهداف المستشرفة، فقد كان هذا الصلح مثالاً لهذا البعد الاستشرافي بعيد المدى[3].

---

[1] – (سورة النمل: 34 – 35).

[2] – متفق عليه: صحيح البخاري، ج8 رقم 6133 ص 38. صحيح مسلم، ج8 رقم 7690 ص 227. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] – يمكن الرجوع لتفاصيل القصة في صحيح البخاري، ج3 رقم2731 و2732 ص252 – 257، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ISSN : 2410-1818

وكلام عمر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم مع أبي بكر رضي الله عنه أوضح وأبان أن فعل النبي عليه الصلاة والسلام كان اجتهادًا بشريًا استشرافيًا رآه القائد الحكيم، فعمل على تنفيذه، وفق خطة استشرافية محكمة، عملت على تحقيق الأهداف الآتية:

1- انتزاع حق الاعتراف بالدولة المسلمة قيادة وسيادة، فنقل الجماعة المسلمة إلى دولة.
2- تعليم الـ صحابة والمـ سلمين أهمية تحيُّن الفرص والتقاطها، ومعالجة المـ شكلات بأقل الخـ سائر، وأنجع الوسائل.
3- تعليم الصحابة والمسلمين أن الحوار هو الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف والتطلعات.
4- أن إحدى الآليات النافعة في بناء الدُّوَل وتمتين المجتمعات توسيع دائرة التحالفات مع القبائل العربية وإن كانت غير مسلمة.
5- أن القيادة الحكيمة والإدارة الرا شدة تـ ستنفذ جهدها وتـ ستفرغ وسعها في بناء الدولة وتعزيز قوة المعسكر الإسلامي.
6- أهمية الدبلوماسية في مخاطبة ومراسلة ملوك الامبراطوريات، وزعماء الدول والقبائل.
7- التعريف بالإسلام كدين خاتم، وبدولته كقوة صاعدة وحضارة شاهدة.
8- الاستعداد والجهوزية للفتح الكبير حال الإخلال بالعهود ونقض المواثيق.

وقد أبان صلح الحديبية عن جملة من الفوائد التربوية والقيادية، منها:

1- تتوافق وتتسق أحداث صلح الحديبية مع قصة الخضر وموسى عليه السلام، من حيث استشراف مآلات الحدث من قبل القائد (النبي صلى الله عليه وسلم – الخضر).
2- حضور موقف المناصحة والمناصرة عند الأفراد نحو قيادتهم، كما مثله فعل عمر رضي الله عنه، وهو الحضور الذي ينبغي تجلّيه على الدوام وحضوره عند الأفراد على امتداد الأمصار والأعصار.
3- أن المناصحة للنبي صلى الله عليه وسلم - بصفته الحاكم والقائد في القضايا الاجتهادية التي لم يحسم فيها الوحي بصورة قاطعة، حيث لا اجتهاد في مورد النص؛ جائز شرعًا، ولا يخل بإيمان الفرد، وللقائد الأخذ بالمناصحة أو عدم الأخذ بها، مالم تكن في معرض الشورى.
4- شرط إبداء الرأي في القضايا الكبرى والمفصلية: العلم والإحاطة والتروي.
5- الثقة عند أصحاب السبق والرشد الإيماني، والفهم وسداد الرأي، تجاه القائد الذي بانت فطنته، وشاعت حكمته، وعُرفت طريقته ((... قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ: فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ: أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟! قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ:

ISSN : 2410-1818

بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟! قُلْتُ: لاَ ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيِّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً...))[1].

6- الحوار بآدابه في القضايا الكبرى، دون تحجير للرأي، وتسفيه للعقل، واتهام بالنقص، ومحاولة الإقناع بالتي هي أحسن.

7- الأصل في العلاقة بين القائد والجند الوضوح والحوار والمكاشفة، ويجوز للقائد ستر بعض تحركاته أو خططه عن عامة الجند، وهو استثناء من أصلٍ، خاصة في القضايا الكبرى والمصيرية، وفعل عمر بن الخطاب كان منطلِقًا من الأصل الذي ربى النبي صلى الله عليه وسلم عليه أصحابه في محطات مختلفة من سيرته، كقصته مع الأنصار قبل غزوة بدر، وقصة الحباب بن المنذر في بدر، وأسرى بدر، وأهل المدينة في أحد، وسلمان الفارسي في الأحزاب، وأم سلمة في الحديبية، وغيرها الكثير من المواقف والقضايا التي سارت على أصل تقديم الحوار والشورى، ووضوح الرؤية والقصد.

8- من لوازم القيادة التخطيط المتقن، والقدرة على قراءة الأحداث، واستشراف المآلات، لرسم خطوات الحاضر، وإبصار المستقبل وتأمينه.

9- من فنون القيادة التفريق في المواقف، بين ما تقتضيه الشورى، وما يتطلبه اتخاذ القرار والحزم والحسم، دون الجنوح لضغط ورغبات الجند، مادام الحدث يستدعي دور القائد وقراره، فالقائد عامل مفصلي في إدارة الأحداث سلبًا وإيجابًا.

10- ينبغي للقائد أن يكون ملمًا بأحوال الناس وقدراتهم وأقدارهم، سواء من داخل الصف أو خارجه، فيبني سلوكه، ويتخذ قراراته، بناء على هذه المعرفة والإحاطة، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سفراء قريش، فتعامل معهم كلًا بحسب شخصه وصفته، فبديل بن ورقاء الخزاعي، كلمه برفق ولين، لأنه من خزاعة التي كانت تجمعها بالنبي مودة، وكانت موضع ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكسب وده، وأقنعه بوجهته.

والأمة بانتهاجها مسار التخطيط الاستشرافي لحالها ومآلها، المراعي لحقيقة التعبد، ومتطلبات الاستخلاف والعمران؛ تكون قد سارت مسار الاهتداء والاقتداء بالوحي الإلهي والهدي النبوي في طريق النصر والاستخلاف المكين.

ولكي تضع الأمة الإسلامية المعاصرة نفسها – عبر تكتلاتها المتعددة (جماعات – مجامع – اتحادات – نقابات – هيئات – أحزاب...) - في موقع الاستخلاف والشهود الحضاري؛ عليها أن تقوم بسؤال المراجعة والمكاشفة، والنقد والتقييم والتقويم، اعترافًا بوضعها، ودراية بحالها، واستشرافًا لمآلها.

[1] – صحيح البخاري، ج3 رقم2731 و2732 ص252 – 257، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

ISSN : 2410-1818

وهنا يمكن لنا أن نضع هذه التساؤلات المفتوحة:

1- هل العلم بفروعه المتعددة، الشرعية، الإنسانية، الاجتماعية، والطبيعية، محل اهتمام الكيانات والمؤسسات والدول الإسلامية، بحيث تتبناها وتتصالح مع مقرراتها ونتائجها، وتسعى إلى تطبيقها والعمل بها؟
2- هل السؤال والتساؤل محل اهتمام والتزام يتربى عليه النشىء والمجتمع، وتتبناه مراكز التوجيه والإرشاد والإعلام والتربية والتعليم؟
3- هل يمكن إعمال السؤال في استخلاص هدايات القرآن الكريم، وإرشادات السنة والسيرة النبوية، وعبر وعظات التاريخ الإسلامي والإنساني، فيما يمكن الأمة من استعادة موقعها الريادي، وموقعها الحضاري؟
4- هل تعمل المكونات والمؤسسات والدول المسلمة على بناء عقول أبنائها، والارتقاء بها، في سلم المعارف والعلوم من خلال خطة استراتيجية تنمي الحاضر وتحفظ المستقبل؟
5- هل تعمل الأمة على استعادة العقول المهاجرة للاستفادة منها في البناء والنهوض والتحضر؟
6- ماهي مقومات الاستخلاف والتمكين؟ وأين موقع التكتلات الإسلامية منها؟
7- هل حال الأمة الإسلامية اليوم بما فيها من حكومات وكيانات وتكتلات يمثل وضعًا طبيعيًا في مسار الاستخلاف الرشيد؟
8- هل أبناء الأمة المسلمة على وعيٍ كامل ومتسق مع قضاياهم وغايتهم في نيل الحرية والكرامة الإنسانية؟ وما حجم أصحاب الوعي التحرري الناهض بالنسبة لمجموع الأمة؟
9- هل الكيانات والتكتلات والدول مستوعبة لحقيقة ونوع عدوها وتشكيلاته المتعددة ووسائله المتنوعة؟
10- هل تستشرف الدول المسلمة موقعها في حدودها الجغرافي، وتموقعها في النظام الدولي على المستوى القريب والبعيد؟

وغيرها من التساؤلات التي كانت ولازالت محط اهتمام قادة الفكر ورواد التحرر الوطني والأممي.

يمكن اعتبار هذه التساؤلات بمثابة خيوط الضوء التي تخترق كتلة الظلام المحيط بالأمة في شتى مجالات حياتها؛ لتبديد هذه الكتلة الظلامية وتحويلها إلى إشراقة فجرٍ جديد، وهذا الفجر وإن بدت ملامح ولادته، إلا إن شعاعه لم يبزغ بعد!! وبزوغ فجر الأمة الجديد يستلزم الوقوف أمام تلك التساؤلات الاستشرافية من قبل الكيانات والتكتلات والدول الفاعلة في الأمة، ممن يحملون هم إعادة الأمة إلى موقعها الريادي، ومكانتها اللائقة بها كأمة رسالية وسطية شاهدة، والإجابة عليها من خلال تشكيل مراكز أبحاث ودراسات، وعقد مؤتمرات تعمل على دراستها، واستخلاص وسائل وآليات

ISSN : 2410-1818

ناجعة تتناسب مع هوية الأمة ومرجعيتها، والتخطيط لإدارة وقيادة الموارد البشرية والرؤى الفكرية المتاحة، بحيث تكون قابلة للتحقق والوقوع في ميدان الفعل والممارسة.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي كان موضوعها السؤال واستصناع العقول والأفكار، من خلال ماهية وأداة السؤال، وأهميته وأثره في صناعة الحياة، ثم سؤال إدراك حدود العقل المتسق مع طبيعة الفطرة وحدود الغيب، باعتباره من أهم أدوات تنشيط السؤال، ووسيلة التعقل المنفصلة عن الشلل والكلل المذموم شرعًا وطبعًا، ثم انساب الحديث إلى سؤال التشغيل والتفعيل للعلوم والمعارف في مجريات الحياة ومجسات الفاعلية والاشتغال المفيد، واختُتِمَ بسؤال المجال والاستشراف المنظوم بهدي الوحي، والمنظور بتجارب الأمم والحضارات، وفق مساقات الماضي، ومسارات الحاضر والمستقبل.

وخرجت الدراسة بهذه النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج

1- أن السؤال محرك أساسي من محركات العلوم والمعارف، لا غنىً عنه في صناعة الحياة والأحياء.

2- للعقل أن يسرح في مجال السؤال والتساؤل في حدود المقدور طبعًا وشرعًا.

3- ليس للعقل مدخل إلى الغيب المطلق، ولا قدرة له على استكشافه واستكناه حقيقته، رغم تطلعات الفطرة الإنسانية لمعرفة المجهول؛ إلا أن الإسلام راعى هذه التطلعات فدعا الإنسان إلى إعمال عقله في ميدان العلم والمعرفة، وفتح أمامه أبواب الكون الفسيح للتفكير والتسخير في حدود المقدور اتساقًا مع سنن الله الكونية والتشريعية والاجتماعية، كما ضبط تجاوزات تطلعاته لمعرفة الغيبيات التي لا حدود للعقل البشري إليها بعقيدة الإيمان بالغيب الذي استأثر الخالق سبحانه وتعالى بعلمه، وأغلق أمامه أبواب الخرافة والكهانة والشعوذة والتطلع إلى غير المقدور ومالا يتفق مع تلك السنن.

4- لم يكلف الشرع الإنسان بالبحث وراء الغيبيات؛ بل نهاه عن تقحم ذلك حفظًا لعقله من التيه، ولوقته من الضياع.

5- حركة السؤال في مجريات الحياة تتشكل بين السؤال المفروض والمرفوض، ولكليهما مساحة الجلب والسلب في معيار المصالح المتعلقة بالمفروض، والمفاسد المتحققة بالمرفوض.

ISSN : 2410-1818

6- لم يكن العلم في الرسالة الإسلامية مشروعًا لذاته؛ وإنما شرع لمقصد العمل، بحيث لا انفصال ولا انفصام بينهما ، بل تلازم واتصال.

7- الاهتمام بالوقت في الرسالة الإسلامية هو عمر مضاف ومضاعف في حياة المسلم، حينما يعيش وقته بين الإنتاج والإنجاز وتحقيق الإعجاز، وهذا ما كان حاصلًا عند علماء المسلمين في تاريخهم العريق، ونهضتهم المبهرة.

8- يعتبر الدين، والقيم والأخلاق، والعلم والعمل، أهم مقومات قيام الحضارة الروحية والمادية.

9- كان وسيضل السؤال والتساؤل من أهم أسس قيام الحضارة الإسلامية.

10- يعد الاستشراف علمًا مهمًا في سياق الاعتبار من التاريخ، والاستفادة من الحاضر، والاستثمار في المستقبل، في ميدان حركة الاستخلاف والتسيير والتسخير السَّنَني.

11- لا يوجد أي تصادم بين علم الغيب وعلم الاستشراف، فالاستشراف دراسة وتخطيط للغيب النسبي المقدور اكتشافه وتحصيله، بينما الغيب المطلق مما استأثر الله بعلمه، ولا قدرة للإنسان على معرفته أو تحصيله.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: التوصيات

1- يوصي الباحث البيت المسلم- باعتباره أهم رافعة من روافع بناء الفرد المسلم- بأهمية تربية الأبناء على مبدأ لغة الحوار، ومنطق الإقناع، وتدريبهم على ثقافة السؤال، باعتبار السؤال بابًا لاستزادة العلم، وسعة الأفق والمدارك.

2- يوصي الباحث المؤسسات التعليمية أن يعتمدوا في أنظمتهم التربوية والتعليمية مناهج ووسائل لتعليم الطلاب أسلوب السؤال ومنهجية التفكير الواسع المنضبط، المؤدي إلى صناعة جيل الشهود المعرفي والنهوض الحضاري.

3- يوصي الباحث مراكز التوجيه والإرشاد والإعلام بتبني خطابًا يعزز من ثقافة السؤال الموصل للحقيقة عبر منهجية الحوار، وأدب البحث والجدال، والحد من ثقافة التلقين والإملاء والرأي الأوحد.

4- يوصي الباحث الحكومات الرسمية، ومراكز صناعة القرار، برفع الرقابة عن حق السؤال والتساؤل، وجعله حقًا مكفولًا لامتلاك العلم والمعلومة والمعرفة، ضمن حرية التعبير وحق امتلاك المعلومة، بما يحفظ هوية وأمن الوطن، ويمنع التعدي على حق الآخرين.

5- يوصي الباحث وزارات التربية والتعليم، ووزارات المعارف في العالمين العربي والإسلامي، بإعداد المناهج التربوية والتعليمية التي تعمل على بناء الإنسان الرشيد، من خلال غرس ثقافة السؤال المنمي للعقول والمدارك، والتي تسهم في بناء جيل العلم والمعرفة والبناء النهضوي والحضاري.

6- يوصي الباحث وزارات التعليم العالي والبحث العلمي في العالمين العربي والإسلامي، إلى تبني منهجية السؤال في الأبحاث والأطروحات العلمية، وإقامة المؤتمرات، والندوات، والمسابقات العلمية والفكرية، وإنشاء المراكز البحثية، التي تسهم في صناعة العقول والقدرات والكفاءات العلمية، المتطلعة إلى تحقيق غاية الاستخلاف والنهوض الحضاري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ISSN : 2410-1818

فهرس المصادر والمراجع

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2 – 1993م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

- سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق – القاهرة.

- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند، حيدر أباد، ط1- 1344هـ.. سنن أبي داود،

البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – دمشق، ط5 – 1993م،

الحجاج مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت،

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، 1399هـ - 1979م،

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، ط5 – 1999م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3 – 1414هـ.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة – بيروت، ط8 – 2005م.

الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار الرسالة – بيروت.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – بيروت، ط1 – 1412هـ.

ISSN : 2410-1818

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار الرسالة – بيروت.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، ط1 – 1997م.

مجلة التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد 101، المحرم – 1427هـ، كانون الثاني – 2006م، السنة السادسة والعشرون.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1 – 1997م.

ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة – بيروت، ط1 – 2009م.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، ط1 - ٢٠١٢م.

ابن بلبان الفارسي: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1- ١٩٨٨ م.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1990م.

بن أنس: مالك بن أنس، موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1406هـ - 1985م.

المقدسي، عبدالله بن محمد ابن مفلح، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3 – 1999م.

الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 – 1420هـ.

البنا: حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر – بيروت، رسالة التعاليم.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة – 1997م.

ISSN : 2410-1818

السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة – مصر، ط2، 1414هـ - 1993م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15 – 2002م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت.

الجيوسي، الدكتور مصطفى، موسوعة علماء العرب والمسلمين، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن.

الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط1 – 2004م.

فارس، الدكتور محمد، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط1 –1993م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية – بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت ط1- 1407ه.

الدندراوي، أحمد عبدالمجيد محمد خليفة، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي- الأسطورة، شعره وجهوده في خدمة العربية، بحث محكم منشور في موقع المقصورة.

بن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، د، ت.

الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (المكتبة الشاملة).

المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الهلال – بيروت، ط1.

مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبدالصبور شاهين، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط4 – 2000م.

ISSN : 2410-1818

الهنداوي، أحمد ذوقان، الحموري، صالح سليم، المعيطة، رولا نايف، استشراف المستقبل وصناعته ما قبل التخطيط الاستراتيجي استعداد ذكي، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع – دبي، ط1 – 2017م.

الدجاني، أحمد صدقي، دراسة المستقبل برؤية مؤمنة وسليمة، مجلة المسلم المعاصر، عدد 62.

محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، دار الرشاد – القاهرة، ط1 – 1997م.

القرضاوي، يوسف، تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1 – 2001م.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1 – 1995م.